ايمان ادريس



امسح متأكدة

لا اهداء ..

كل من احب و كل الاشياء ..قادتني للبداية
صعب ان تهدى الاول لانه لا يمثل نفسه..
انه ليس الكتاب بحد ذاته ...
انه تهورك بأن تنشر ..
انه 10 اعوام من الكتابة يصطف معبرا عنها كتاب صغير ..
ليواجه القارئ ..ذلك المهم ..ذلك المرعب ..

امسح! ... متأكدة.

امسح التالى من حياتى
هذا الحبيب
تلك الوظيفة
ذلك المكان

امسح صوتهم ...
صداهم ...
صمتهم ...
بل امسح الأمر كله ... إن كان يزعجنى.

امسح ... لأننى لست أظننى قابلة للتغير ...
وهم أيضا لن يتغيروا
امسح ... لأن ذلك أسهل
رغم انه كله - فعلا – يتبدل ... و"يتغير"

امسح ... ولا تترك مجالا للتراجع
امسح ... أنا متأكدة.

Shift---Delete

Once and for all....
No memory ..no misery..

Delete them now..

Delete (Time , Space and Event)
Delete old me ..

Nothing worth keeping ..Specially my pain..
Nothing will remain the same ..
I know that.. I just need time ..but ..
No ..this is better ,,

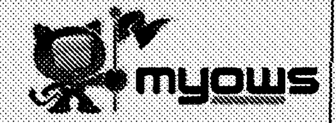
Press Shift /Delete

الغلاف والاخراج الفني : إيمان إدريس
تدقيق لغوي : عبد الرحمن والى
نشر و توزيع : مروه رخا

مدونتي :
www.moshahidah.wordpress.com

نشرت بواسطة خدمة مروة رخا للنشر الإلكتروني المجاني

اكتوبر 2010



شكر خاص

كتبت إهداء وشطبته لأنه أطول مما ينبغي .. كما أنني اعتدت أن أهدى الجميل ولست متأكدة إن كان هذا العمل بالجمال الكافى لهدية. ثم تذكرت أن الكـُتاب الأمريكان يفردون صفحة للشكر ووجدت ذلك أنسب فاسمحوا لى ببعض الأمركة.

الشكر كل الشكر للتالى ذكرهم وغيرهم كثير ...

لأمى التى تمتعنى دوما بميزة البقاء لطفلتها المدللة.

لأبى وإخوانى الرجال الذين غمرونى بالرفق و الحنان و علمونى كيف يمكن لرجل أن يحترم حتى النساء الصغيرات (كونى أصغرهم) ...

لأختى الوحيدة رفيقة الغرفة و الحياة.

لبنات وراق اخواتى العزيزات دائما وأبدا.

لأصدقاء الطفولة – منى وسمة ورشا وبنت طنطاوى.

لأفضل صديقة فى وجودى – صديقة كل الأوقات مروة محى الدين ...

لأصدقائى الدافئين الطيبين فوق العادة – سحر وهدى وعبير وسلوى وريان وهاشم ومحمد و رانيا وعديلة وألطاف وسماح وتقوى وهند و أميمة وزهرة –الله يرحمها – وصفاء و رامي .

لأصدقائى من أبناء وبنات "مدرسة العلوم الرياضية" school of math أحسن ناس ...

للمدون "د. محمد حسن" ... لمتابعته وتعليقاته المشجعة فى مدونتى ...

للمدونين فى مدونة "سودانا" ...

للسيدة غادة السمان و الاستاذ محمد عبد الحليم عبد الله... على رأس قائمة كل الكتاب المفضلين لدى.

شكرا لكل الكتاب الجدد المتهورين الذين كتبوا ببساطة و نشروا بجنون لحظى رائع ..هأنا ارمى بنفسي معكم لعل و عسي ..

و طبعا الشكر لمروة رخا التى جعلت حلم النشر ممكنا وقريب المنال.

للمدقق اللغوى السيد عبد الرحمن والي ..الذي تفضل شاكرا بالتدقيق مجانا دعما لحملة مروه رخا للنشر المجاني ..

لخدمة myows لحفظ حقوق الملكية الفكرية.

والشكر لكم أحلى قراء مغامرين ... يعنى بالجد فى الزمن الضيق ده تجربونى ...

really! Thanx
a lot (^_^)

مقدمة :

عندما تضغط Shift/Delete فإنك تقضى على الملف تماما ولا يعود حاسبك الآلى قادرا على استعادته ... لن يذهب لسلة المهملات ... حيث يمكنك التراجع ...

إننا نمسح بنفس الطريقة فى حياتنا اليومية، نمسح هذا الآخر المختلف - المتخلف أو الأكثر تطورا - نمسح هذه الديانة، تلك الأماكن، المرض، الحزن، نسمح الذاكرة، أو نمسح الأشياء التى تستدعى الذكريات، قنبلة هنا، ورقة طلاق هناك، استقالة، وغيره. إنه الحل الأسرع - الأسهل - ولكنه للأسف نهائى.

تعلمت أن الحياة أسخف وأقل شأنا من هكذا قسوة، وأننا شئنا أم أبينا نتغير وتتغير ظروفنا، تعنتنا فى وجه التغيير هو حماقة غير مبررة.

فلنقل إننى أكتب عن ذلك ... وبغض النظر عن التصانيف الأدبية هذه مجموعة متصلة ومنفصلة ...

وجدت فى اتصال القصص طريقة لرؤية أوسع ... لكننى أكتبها ليكون كل منها كائن منفصل فى الأساس .. يحمل فكره وإحساسه الخاص المتعلق باللحظات التى يصورها.

قسمت المجموعة لقسمين (من غير حب) و (... with love) كى يتجه كل قارئ للقسم الأنسب لميوله - ولا تميلوا كل الميل. أتمنى تقرأوها كلها عشلن تتضح الصوره.

أتمنى أن تنال المجموعة رضاكم.

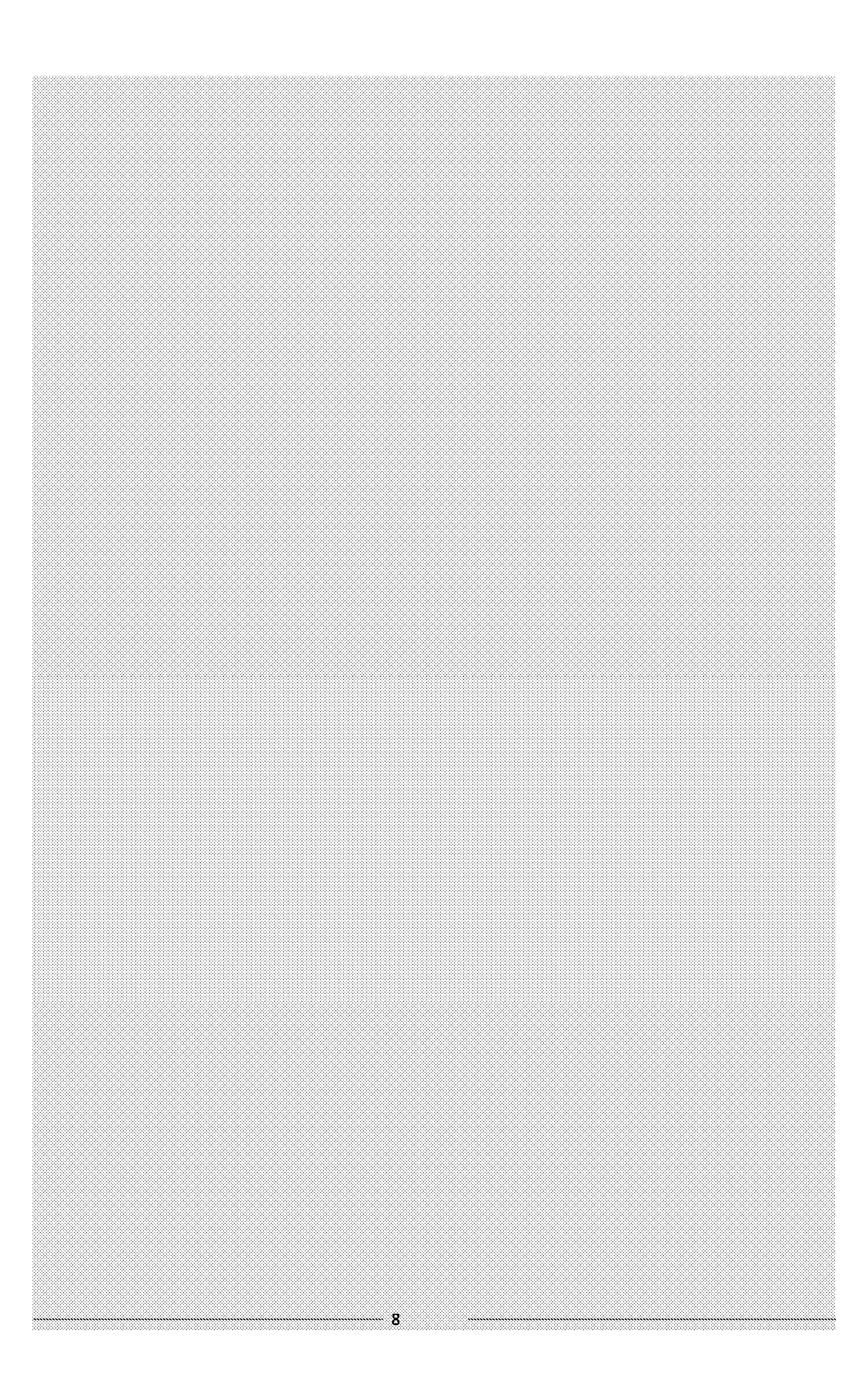
تنويه صغير: آراء وتعليقات الشخصيات لا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر أتبناها. أحترم وأقدر كل المختلفين معى ومعهم، فلست هنا لأمسح أى شخص أو أى رأى.

إيمان إدريس

القسم الأول:

... من غير حب

- غطى وجهك يا بنت
- وضع مؤقت
- مستقبل مايا
- فى متجر
- رسائل عبث
- شركة عاطفية



غطى وجهك يا بنت !

فى رحلاتها الأخيرة إلى بلاد المطوعين (رجال هئية الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر) ، وفى مطار بلاد الحجاز - وهى الجزء المتحرر من الدولة - كانت تجلس فى صالة الانتظار. إنه منتصف الليل والتعب يعطل فى كل لحظة أحد خواصها التفاعلية، لم يتبقَ سوى أذنيها لتسمع إعلان طائرتها نهضت وهى تحاول أن تلحق بالصف، يا الله! إذا لم تلحق بالطائرة ستواجهها سلسلة من الإجراءات المستحيلة قبل أن تجد تذكرة أخرى، فهى هنا تقف بدون محرم لا رجل ليكون لسانها ويدها وعقلها فى بلاد تكاد تصنف المرأة كذوى الاحتياجات الخاصة.

لقد مرت عشرة أعوام منذ أن غادرت بلاد المطوعين عقد من الزمان مضى منذ آخر مرة احتكت بأمراض مجتمع محافظ يحور كل شيء ليتفق مع توجهات الوهابيين (نسبة لمحمد بن عبد الوهاب الداعية والمشارك فى قيام السعودية). رغم ذلك ها هى البارحة تعيد مشاهدة كابوسها المقلق الذى كانت تشاهده أيام الدراسة.

"انتهى اليوم الدراسى وبدأت الطالبات فى ارتداء عباءتهن استعدادا للعودة للمنازل، اختفت عباءتها هى ... يا إلهى ما العمل؟! هل تمازحها إحدى الصديقات ... لا ... ستضطر أن تعود بدون عباءة تمشى فى الشارع وهى تشعر بالعرى والعار والخوف من أن يراها أحد، يتبعها ذئب بشرى، تركض وتركض وتستيقظ لاهثة مذعورة".

صيغة أخرى لنفس الكابوس ... "اختفت العباءة تقترح إحدى زميلاتها أن تنتظرها حتى تذهب وتأتيها بعباءة أخرى من بيتها القريب، تذهب الزميلة ولا تعود، يمر الوقت والرعب يتملكها، أشجار المدرسة تغدو كثيفة تطبق عليها، تختنق وتستيقظ".

لو أنها تخلصت من إحساسها بعدم الانسجام مع المجتمع لكانت استيقظت وهى تضحك كلما عاودها الحلم هنا فى بلادها المتحررة نسبيا. فلم تعد العباءة هى الستر. لم تعد فى بلاد المطوعين، لكنها هنا أيضا ترتبك حين ترتدى ملابسها.

فى احدى أيام سنوات الدراسة الجامعية اشترت قميصا رائعا وتنورة تظهر طول قامتها ونحافتها، لكن لا تبدو فيه هزيلة كأغلب ملابسها. حملت حقيبتها واحتضنت باقى الكراسات ومضت.

على باب الكلية التقت إحدى زميلاتها ترتدى النقاب متأثرة جدا بكل المنشورات التى تطايرت من بلاد المطوعين وغزت بلادها وتقمصتها مئات من الفتيات أمثال هذه الزميلة.

- السلام عليكم ... (صباح الخير ليست تحية إسلامية ويجب التجهم بالسلام حتى خلف النقاب)

- وعليكم السلام كيف الحال؟

- بخير ... أنت شفتى نفسك فى المراية قبل ما تطلعى؟ حرام عليك (هكذا فى ثوانى صدرت الفتوى محرم شرعا)

كهربتها الكلمة (حرام) نفس النبرة ونفس الصوت كأنها ما تزال هناك فى السعودية تتناقش مع إحدى الطالبات حول شرعية الجوارب البيضاء (ملفت للنظر لازم تكون سوداء ... كذا فتنة حرام عليك).

غطت ما أمكنها تغطيته بالكراسات ومشت منزوية على نفسها إلى قاعة المحاضرات، نظر لها الجميع وهى تدخل، بالتأكيد ردة فعل طبيعية لمراقبة كل من يأتى متأخرا عن الصف والتمتع بنظرة الأستاذ الغاضبة؛ فى عقلها الجميع يستغفر الله ... (اللهم لا تحاسبنا بما فعل السفهاء منا) .. أخيرا وجدت الكنبة حيث تجلس صديقتها، هامسة فى أذنها "شكلك روعة" كان ذلك التأكيد على إثمها، لم تفهم شيئا فى المحاضرة وبدأ عليها الضيق وهى تسترجع كل علامات الحرام التى نعتت بها عبر السنوات، حرام النقاب، حرام يظهر وجهك فتنة، حرام الاستماع إلى الأغانى، حرام ارتداء البنطال ولو مع قميص يصل إلى الركبة، حرام التعرف على الشباب، لا صديق ولا زميل ولا حتى قريب، حرام "تزعلى من أحد هذا خصام، ما أنا بكلمهم، لا لازم تسامحى، تطـهري، تتحولي لملاك وترفرفي بجناحيك حتى تصلى للجنة، لازم تؤيدى بن لادن، و هل ستوالي النصارى والصهاينة هل ستقيف في صف امريكا !...

- مالك شكلك متضايقة؟
- فيه مشكلة فى لبسى؟
- طبعا .. إنها حلوة شديدة وما فى داعى تظهرينا جنبك مبهدلات ولا نرتقى لأناقتك . . ههههههه
- ---
- لا جد مالك؟!
- أسماء قالت لى حرام وما عارفة شنو.
- إن شاء الله أسماء المنقبة ... يعنى عايزاها تقول ليك شنو دى حاقدة وما هتعجبيها كان ما لبستى زى خيمتها دى.

لما صنفتها أسماء!! بسرعة وعنف؟ ولما صنفت ياسمين أسماء كحاقدة؟ هى لا تنصف المنقبات كدرجة ثانية تراها حرية شخصية رؤية للدين، زهد وتقرب كحال بعض العباد الذين تركوا أمورا لله لينزعوا الدنيا من قلوبهم، بالتأكيد تصنف الناس لكن ليس بهذه الحدة ... يا ترى فى أى فريق هى فى نظرهم؟

تتمنى أن تكون مثل ياسمين صديقتها متصالحة مع نفسها، أوجدت لها قناعات وآمنت بها ولا يهمها بعد ذلك رأى المجتمع، "يا ماما المجتمع ده كل يوم برأى اتحجبوا لكن فى الأعراس البسوا

وفكوا الشعر العرسان وكده، لا العرسان بقوا عايزين محجبات اتحجبوا أحسن" ... فى آخر زيارة لها لمصر وجدت من يقول لها مستنكرا حين عادت "بس ما تكونى عايزة تتحجبى حجاب المصريات!!" ماذا يعنى ذلك؟ بعد وقت قليل أصبح هناك لفة الطرحة الاسبانش (تماما كما تقول المصريات!!)

تعرف أن فطرتها سليمة لكنها تقف أحيانا وتحاول أن تقيس فطرتها مع فطرة الآخرين. يجب أن تكون free size أليس كذلك وكل البشر لديهم نفس الفطرة. يقول أخوها الأكبر الذى يغيظه تذبذبها كل يوم بين الحجاب والتعقيد وأحيانا لا هذا ولا ذاك وتكتفى بالاحتشام، يقول لها: "عاينى حبيبتى كل زول عنده processor مركبه بيشتغل بطريقة مختلفة، ما هيرضوا عنك كلهم أهم حاجة ربنا ... صح؟ ما تقلقى أوكى!" ...

تكره كل الكلمات الفجة بمفرداتنا الوقحة الجديدة، قلة الذوق والأدب التى أصابتنا فجأة، ما معنى كلمة ملتزمة ومتدينة، ما معنى "فاكة" "ماشية موضة " ... وعلى رأيها كله كوم واللغة الفصحى تلك التى يلقونها فى وجهك كوم ... كالصفعات تلطمك، حرام، فسق، عارية، محتشمة، فجور.

ما الذي اصاب هذة البلاد لم تكن تصنف الناس باشكالهم ! لم تكن سيئة النيه ؟
الكل يقول لك الستينيات كانت الناس غير الناس، كانوا سويين وعقولهم نظيفة، حسنا لنختصر النقاش، سأرتدى عباءة ... لأ أرجوك ... اللواتى يرتدين العباءات هن شر الخلق إنهن والعياذ بالله يفعلن الهوايل.

جلست فى المطار تشتت النعاس بمشاهدة المسافرين. يا ترى هل بلاد المطوعين تتبدل – أم أن جدة غير!! كما تقول إعلانات مهرجان تسوقها وكما كانت دوما. على أى حال هى تعلم أنهم يتجهون للاعتدال وقومها من بدأ رحلة عكس الزمن نحو التطرف! تصورت أن يتصدر الأخبار "قرار بمنع قيادة النساء فى السودان بعد حادث أثار الرأى العام والأزهر يؤيد".

نهضت مسرعة وهى تفكر فى أقرب فرصة للنوم بعد أن تصل لغرفتها فى منزل أهلها – الأجانب كما يقول السعوديون ببساطة – حيث ينتظرها سرير طفولتها السعيدة، فرغم كل شىء بلاد المطوعين كانت مضيافة طوال فترة الدراسة، تشتاق لهيلة وحصة ونوال ...

ابتسامة موظف المطار وهو يعطيها بطاقة الصعود للطائرة ساخرة، ما زال النعاس يسيطر عليها ليس لديها قدرة حتى أن تنتظر له شذرا، لعله من القلة المريضة التى تكره الأجانب (غير السعوديين): لا تفهم ما الشىء الذى يدفعه للضحك بعد أن مضت ... قليل الأدب!

نامت مرة أخرى فى الطائرة - نتيجة 8 ساعات انتظار ورحلة فى مواعيد مزعجة - استيقظت وهى تنظر للراكبة التى بجوارها "يا سلام خامة هذا القماش ممتازة، اللون الأسود رائع، كان يجب أن أرتدى تنورة سوداء بدل تنورة الجينز، يا الله جودة هذه الخامة تذكرني بالعباءات الفخمة ... العباءة!!"

رفعت رأسها ووجدت أنها فعلا عباءة، ركضت بعينيها بين الكراسى، كلها بين أسود للعباءة وأبيض للثوب الرجالى ثم ... ها هى تماما كما فى الكابوس الوحيدة بدون عباءة ... أغمضت عينيها من جديد وهى تشعر بتحرر داخلى لا يهمها ما يظنون، إنها لا تغضب الله، إذن هذا ما يضحك موظف المطار ... هههههههههه ... فعلا شيء مضحك.

وضع مؤقت

يوم عمل آخر. لا أكاد أصدق أن العام مضى بهذه السرعة. بدأت يومى كالمعتاد مطمئنا نفسى "وضع مؤقت" جملة أرددها لكل فضولىٍ بغيضٍ ولكل صديق مخلص ولأمى.

الكتاب، الموبايل، جهز شحن الموبايل، المفاتيح، حبوب مسكنة وبعض المال تأكدت أن كل وسائل العمل تلك معى، نعم هذه أدوات عملى ولست ذاهبا لنادٍ ولا لزيارة اجتماعية.

صعد بى المصعد للطابق الخامس فى هذا الوقت من الصباح، لابد إنها السيدة "ن"، أربعينية مطلقة وآية فى الجمال لها من الأبناء اثنان يدهشك أنهما فى العشرينيات بل ويبدوان أكبرمن ذلك وتبدو معهم أختا أو خالة لا أم. السؤال المحير فعلا كيف يتخلى رجل ما عن امرأة مثلها رقيقة مهذبة وطيبة، حسنا ستقولون كيف لى أن أعرف أنها كذلك؟ صدقونى أعرف أحيانا أكثر مما أريد.

وفى الطابق الخامس كان ما ظننته، حيتنى تحية الصباح واتجهنا إلى الطابق الأرضى لكننا توقفنا فى الثانى لنقل عائلة الدكتور "م" الطبيب وزوجته (طبيبة أيضا) وطفلة صغيرة فى الخامسة من العمر، تبادل الجيران ابتسامات وتحيات مقتضبة، فكما يبدو أن السيدة "ن" تشكل تهديدا لكل سيدات العمارة وكان من الحكمة التعامل معها بحذر ربما تجلب النحس أو – وهو الأخطر- تخطف الأزواج.

ظلت الطفلة - ابنة الدكتور "م" - تحاول جاهدة إعادة عقد الشريط الذى يتدلى من ضفيرتها. أمها مشغولة بمراقبة السيدة "ن" ويدى تريد مساعدة الصغيرة، كانت دقائق من ضبط النفس فلا أريد أن يعتبرنى الركاب فضولى وأتدخل فيما لا يعنينى، أدركت أننى قد أموت حرجا لو طاوعت نفسى وأنبنى الدكتور "م" ... نعم الفكرة مروعة خاصة والسيدة "ن" موجودة.

فى الطابق الأرضى غادر الجميع وبقيت أنا، شغلت الإذاعة بواسطة الموبايل وبدأت أستمع لأخبار التاسعة حتى انتهت وبدأت أقوال الصحف، أحب أن أفكر بهؤلاء الذين يلقون أخبار الصباح كأكثر المذيعين بؤسا وكلهم يتمنى أن يكلف بمهمة أخرى أو ينتظر أن يرتقى ليكون له برنامجه الخاص، هم أيضا يعيشون أوضاعا مؤقتة. هنا فـُتح باب المصعد، هذه مواعيد موظفى الشركة الإعلانية فى الطابق العاشر، مجموعة من الشباب يأتى بهم باص الشركة.

كل صباح أفكر هل ستركب اليوم مصعدى أنا أم المصعد الآخر، وأتمنى أن تصعد معى. صباح اليوم كان الحظ حليفى أنها هـى الآنسة الرائعة بكل روعتها شاركتنى مصعدى، تعمل كمذيعة فى الإذاعة التى تحتل ثلاثة طوابق، تقدم برنامج الساعة الواحدة ظهرا يتسنى لى أحيانا أن أستمع لآخره فى فترات الركود، أسمع حوارها المذهل، صوتها العذب الرقيق دون تكلف، وصبرها على بعض المتصلين الأغبياء، يتملكنى إحساس أحيانا إنها تصبرنى أنا بالذات حين تبث نغمات الأمل عبر الأثير كما يقال. فى أحد الأيام قالتها بالحرف : "هذه الأغنية إهداء لكل من يظن أن أحلامه لن تتحقق ... محمد منير ... لو بطلنا نحلم نموت"

أتمنى أن أخبرها أننى خريج جامعة محترمة، أجيد اللغة الإنجليزية وأنه يوما ما كان لدينا الكثير من المال، وكنت أقود سيارتى الخاصة وأنا مراهق فى الثانوية ... أريدها أن تعلم أننى لبق ومسئول وأننى فعلا أستحق أن تحبنى، لكنها فقط أيام مكتوبة لى فى صعود وهبوط، أرتفع بهذا المصعد بأحلامى وأهبط لأعود لمنزلى وأردد إنه وضع مؤقت وبعد ذلك سأكون يوما دبلوماسيا رفيع المستوى أو مستشارا اقتصاديا كبيرا.

أعلم أنها أيضا تعيش وضعا مؤقتا فلا يمكن أنها درست إدارة الأعمال لتصبح إعلامية، نعم قد تبدو سعيدة بعملها لكن هل حقا هذا هو طموحها؟ أود أن أعرف؟

منتصف النهار وقت الذروة، العديد من عملاء الشركات والزبائن، العديد من الزيارات بين ربات المنازل، وهكذا يزيد الصعود والهبوط، حتى هؤلاء تصبح وجوههم مألوفة بعد عام من مزاولة المهنة، ها هـى مندوبة المبيعات التي تأتى بمستحضرات التجميل هـى الأخرى تعيش وضعا مؤقتا تبدو أكثر ضيقا منى مما يجعلها دائما فى حالة إثبات أنها لا تنتمى لهذه المهنة وتكون متكبرة ومتعالية كأنها من كوكب آخر ... ها هو أيضا محامى الشركة الاستثمارية دائما، هذا هو المحامى، لا يلجأون أبدا لمحامى من طابق المحاميين كما يقول سكان العمارة.

انتهي دوام الآنسة الرائعة وها هـى للمرة الثانية من هذا المبارك الملىء بالحظ تكون من نصيب مصعدى أنا. هذه المرة تعمدت أن تقرأ غلاف الكتاب الذى أحمله معى "الاقتصاد الحر" ابتسمت وأشاحت بنظرها، لابد أنها أدركت محاولتى اليائسة. لكن كان ذلك كل ما أتمناه ابتسامة لى أنا ليست لأمر تذكرته، ليس لمحدثيها فى الهاتف، ليس لصورتها المنعكسة فى مرآة المصعد. ليس تحية لزملائها، إنها لى أنا ومحاولتى البائسة.

عادت السيدة "ن" ومعها ابنها، طالب جامعى فى سنته النهائية، لطيف ودمث تماما مثلها. يسألنى عن يومى وأسأله عن يومه، قص علىَّ أحداث الامتحان وكيف قام بالغش. أمه تلكزه "وفرحان ... عيب عليك ... final ولسه بـتغش" يضحكان. تمنيت أن أكون مكانها، الزواج المبكر يمنحك فرصة أن تكون صديقا لأبنائك، لكن لا بأس الشباب فى القلب ومن يدرى ربما لا زال لدى أمل فى زواج مبكر فلم أتخطى الثلاثين بعد ... أليس كذلك؟ لكن هل السيدة "ن" سعيدة أم أن سعدها وضع مؤقت وسريعا ما يتزوج الأبناء وتدرك كم هـى مطلقة ...

اقترب موعد نهاية الدوام. الساعة السابعة مساء يأتى زميلى بعد ذلك للاهتمام بمصعدى العزيز. السابعة إلا ربع ها هو أحد الركاب المفضلين لدي الدكتور "ف" ستينى راق ممتلئ بالحياة والشحوم المكتنزة فى وجهه وكرشه. دائما يعرض عليَّ المساعدة خاصة بعد أن علم أننى مؤهل أكاديميا لما هو أفضل. ودائما كنت أرفض شاكرا ... حماقة منى لا أفهمها الآن. اليوم كان كل شيء ممكنا لقد ابتسمت لى ... لا تضحكوا!

بعد عام من الصعود والهبوط صدقونى تكفينى هذه الابتسامة المجردة الموجهة فقط لى، ليس لأنها تذكرت شيء أو سمعت نكتة بل لأننى كنت أحاول لفت نظرها بكتابى العظيم حول الاقتصاد الحر.

قريبا إذن سينتهى وضعى المؤقت، فقد وعدنى الدكتور "ف" بأن يتوسط لى عند أخوه الذى يعمل فى وزارة الخارجية. لا أريد كلمة سلبية واحدة منكم، سوف ينتهى هذا الوضع وسأحبها وتحبنى ونظل مبتسمين للأبد ... حملت موبايلى، كتابى، بقية عدة العمل ومضيت وأنا أفكر فى أسماء لأبنائنا.

مستقبل مايا

لا تعتبر "مايا" مدينة ولا يسعك أن تضمها للقرى دون أن تلحق ذلك بقائمة من الاستثناءات.

طموح الشيخ محمد الأمين الصادق أن تمتد شمالا حتى تلتصق بالعاصمة، وهكذا تصبح كجزء منها. كان الشيخ يحلم دوما بيوم يدخل فيه الوالى إلى مجلسه باعتبار أنه رأس مايا وسيد السادة فيها. حسب خيالات الشيخ سيعجب الوالى بحسن إدارته ويعينه فى منصب ما رسمى ويوفر له الأموال اللازمة لتطوير الشوارع والمرافق، ستتحول مايا لمدينة أو ضاحية من ضواحى العاصمة.

بأموال البلدية ودعم الوالى سيجعل منها مثلا يحتذى وهكذا ودون أن يدرك أحد خطته تلك تمكن الشيخ بما له من سلطة وشرعية من دفع نمو مايا نحو الشمال. كل المنازل الجديدة تبنى هناك وتبتعد عن النهر، ذلك الغادر الذى يفيض ويرعب الأهالى.

بعد عودة الدكتور صلاح من الغربة أقنعه الشيخ أن يبنى مدرسته الخاصة جهة الشمال لأن المدرسة الحكومية بعيدة عن سكان تلك الجهة ... إنها أموال خليجية مباركة وتأمل الشيخ خيرا منها ... المدرسة ستساعد على استقرار السكان وستدفع بالمدرسين للاقتراب منها.

ما لم يتوقعه الشيخ أن تتكون طبقة جديدة يسمون أنفسهم بأهل العاصمة لأنهم أقرب لها، منازلهم أحدث وأكبر. يدرس أبناؤهم فى مدرسة الدكتور صلاح الخاصة ويعملون فى أطراف العاصمة.

مع ارتفاع أسعار الإيجار فى العاصمة قام بعض التجار ببناء مجمعات سكنية وعمارات فى الـ 50 كيلو المتبقية بين مايا والعاصمة، وهكذا بات حلم الشيخ أشبه بالحقيقة. وهكذا أيضا نشأت طبقة ثالثة، هؤلاء كانوا مزيجا من البسطاء الذين يمضون أغلب يومهم فى رحلة الذهاب والعودة من العمل ومجموعة من الأرستقراطيين الذين ينشدون العزلة والبعد عن ضوضاء المدينة.

فرحة الشيخ باقتراب حلمه من التحقق تعززت بعودة ابنه الوحيد بعد طول غياب. فى جلسة خاصة أخبر الأب ابنه عن خطته العظيمة - كونها المرة الأولى التى يتحدث فيها عنها تحدث طويلا وبحماسة كما لو كان شابا.

"هل تعلم بنى كم من المال يمكن أن يخصص لتطوير مايا؟ هل تصدق أنه يمكننا أن يكون لدينا مستشفى كالذى كانت به أمك قبل وفاتها، رحمها الله، لن يضطر أبناء مايا للسفر للعلاج، ولن نحمل كشافات وفوانيس سنضيء شوارعنا، قرب النهر بنى سنزرع أكثر، وسنحضر قوارب للصيادين، هل تعلم أن جدك كان يبيع السمك فى جميع المدن الكبرى لكن النهر حطم قواربه، سمعتهم يتحدثون عن قوارب قوية وحديثة".

ظل الشيخ يصور ويرسم صورة المدينة الفاضلة التى يعد لها منذ سنوات وهو سعيد جدا أنه حقق الكثير وما تبقى هو فعلا القليل. "سيعيشون فى رفاهة ولن يجوع أحد فى مايا، لن يشعر أحد بالفقر، الله سيغمر الأرض بالبركة ويحميهم من النهر، سيكون كل شىء كالحلم".

فى أحد الصباحات أتاه رسول الوالى مبعوث من البلدية وأخبره أنه يريد إحصاء السكان وعدة أمور أخرى كى يرى إمكانية ضم "مايا" للعاصمة ... قلب الشيخ يرقص فرحا. بعد ذلك يجب أن يحضر الساعى لدعوة مقابلة الوالى لكنه لم يأتِ بل لم يعد ولم يظهر أى مندوب للحكومة، كما لو أن تلك الزيارة غلطة مطبعية تم تجاهلها ببساطة.

بعد عدة أشهر اجتمع رجال مايا دون مشورة الشيخ وبحضور ابنه الذى بدأ بأخذ الزعامة شيئا فشيئا وقرروا تقسيم بلدتهم لثلاث مناطق:
المنطقة الاولى : ما بين النهر والمطقة الشمالية وسموها "مايا القديمة"
المنطقة الثانية : المنطقة الشمالية
المطقة الثالثة : مايا الجديدة
ذات المجمعات السكنية وفلل أثرياء العاصمة.
اتفقوا جميعا وأرسلوا ابن الشيخ لإخطاره.

كانت أخبار صاعقة ألقاها الابن بقسوة غريب على والده ومضى. لم يتحمل الشيخ الصدمة ومرض. توافد الزوار يعودونه لكن لم يسأله أحدهم عن سر مرضه المفاجئ وهو المعروف عنه قوة البنية رغم كبر سنه. مع كل زيارة كان يزداد مرضا بأخبار مايا المنقسمة والتى لن تتطور أبدا بل سيزيد الفقر وسيمحى النهر مايا القديمة وربما تبقى منطقة الشمال وتصبح مكتظة بالسكان الزاحفين، ألف سيناريو قاتم يسيطر عليه. سيأتى يوم ولن يعرف الأهالى بعضهم البعض ولن يكون هناك مال لبناء مشفى أو حتى ترميم شارع، بعد الفيضان سيقوم السادة بالسيطرة على الإعانات ولن توزع لمن يحتاجها كما حدث فى أحد سنوات القحط والجشع التى يحاول أن ينساها.

وفعلا بدأت نبوءاته تتحقق، البلدية ترسل مال ناقص يقسم فى المسجد الكبير بين رؤساء المناطق الثلاث الجدد كل من هؤلاء ينفق الجزء الأكبر منها لمصلحته الشخصية وما تبقى ينفقه بغباء على أمور تسعد قومه قليلا لكنها لا تثبت فى الأرض ولا تنفع الناس. مشاكل الطبقات بدأت تظهر وفقدت مايا كل طيبة.

فى صبيحة يوم غائم حزين مات الشيخ محمد الأمين الصادق بحلمه السرى ولم يعلم أحد غير ابنه أنه كان يريد لمايا مستقبلا باهرا.

فى متجر

شامبو وبلسم ... هذه أشياء يعرفها ثم هذا الأخير يبدو كريم عناية بالبشرة، ولكن ما هذا السائل الرغوى، لا علبة أخرى أيضا إنه سائل زهرى اللون. كلهم متشابهون ولهم رائحة البساتين مع بعض بصمة روائح المواد الحافظة التى ندركها ولا نستطيع تحديد ماذا تشبه.

على أى حال رغم التشابه فإنها تنتقى بينهم بعناية كأنما تغيير بسيط قد يؤدى لانفجار المستحضرات فى تفاعل سحرى مع بشرتها، يتدخل الهاتف والنقاش يصبح ثنائيا بعد أن كان فرديا مع نفسها ... عظيم أخيرا حلت مشكلة الشرق الأوسط وانتهت من المهمة المستحيلة.

نظر إليها متأملا ... أنيقة وبسيطة لكن هل جمالها حقيقى أم أنه نتيجة غرفة العناية المشددة التى جمعت أدواتها فى سلتها قبل قليل، هل يتبقى لها خلايا حية بعد أن تمر عليها كلها بالسائل الزهرى والرغوى والبنفسجى !! لم يتمكن من مواصلة التفحص فقد لمحته ينظر تجاهها، عبس فى وجهها ومضى إلى هدفه معجون الأسنان ومعجون الحلاقة.

غادر الممر وهو يفكر ... كل هذه العلب لها وحدها! ربما تتسوق عن أخواتها الأربع أو الخمس ، أم أنها تشترى لعدة شهور مقبلة؟ ما تبقى من راتبها؟ أم أن الأب يدفع مهما كان الثمن؟ سطحيات غبيات، إنهن فتيات، لا إنهن ضحايا الإعلام والتقديس الجديد للجمال، تراءت له مشاهد إعلان الشامبو الذى يستفزه، تخبرك العارضة فيه أنها قد حصلت على وظيفة صحفية لأن شعرها براق وانسيابى ... سخف !

وبتلك البساطة يحول كل مشهد يراه لقضية اجتماعية تحتاج منه التفكير فى حلول لها قبل أن ينهار العالم. وبينما هو يختار قهوته ونكهاتها، التقى بالمتسوقة الغبية مرة أخرى تدفع أمامها عربة المشتريات الجمالية. اقتحمت ركنه المفضل وظلت تطالع الكاكاو، ويبدو أنها فقط تنتظر حتى يبتعد هو عن القهوة. حدق فيها بنظرة فضول يكرهها هو ولا تشبه عينه المهذبة ككل طباعه المنتقاة بعناية كما يجب أن يكون المثقف سلوكا.

غادر ركن القهوة وهو يشعر بالغيظ، كيف تحب القهوة؟ كيف تتجرأ وتشاركه أفضل ما فى هذا المتجر؟ لا إنه لوالدها بالتأكيد. تذكر أمه إنها لا تجيد اختيار القهوة لأنها لا تحبها ولكنها تجيد شراء الطعام والثياب وكل الكماليات التى لا تساعد العقل على التركيز كما تفعل القهوة.

الحقيقة إنه لا يعرف النساء إلا كما يود أن يعرفهن من الكتاب أو بعض الفتيات المنتميات لحزبه، لا عطور ولا مكياج حقيقة فجة محضة، فقط يتذكر أنهن نساء حين يكون الحديث عن تحرير المرأة وتزيد حماستهن. كيف تتحرر المرأة فى بلاد تقوم مخرجة فيديو كليب باستخدام جسد المغنية فى إنتاج تحفتها الفنية ... مهزلة ... إنها امرأة مثلها يزول الفن معها ولكنها ترى فيها مجرد ديكور فاخر! ... اعتقد أن حجة المجتمع الذكورى إنتفت هنا.

بالنسبة له باقى نساء العالم مشاريع لم تكتمل وكلهن مظلومات خاصة من مجتمعه الشرقى المصاب بانفصام فى الشخصية ... من أخبر تلك الفتاة أنها تحتاج لكل ذلك، هل تريد أن تكون شفافة ومعقمة ويرى تلألؤ القمر منعكسا على بشرتها التى تشبه المرايا. بالتأكيد هى لا تقرأ، من أين تجد المال لكتاب أو حتى جريدةً! ومن أين لها بالزمن فى سباقهن المحموم نحو الكمال الخارجى الفانى والذى ينازعهن الزمن إياه.

يجب أن يُـنفق المال على ما فيه نماء للروح، يظل يفكر، لذلك يكون منطقيا منظره الهزيل الذى يخفيه فى ملابس واسعة وفاتحة اللون، تفشل غالبا فى ذلك وتظهره كخيال باهت يمشى بسرعة ويظل قلقا ومشدود الأعصاب.

فى نهاية طوافها المقدس بمرافق المتجر الضخم ها هى مرة أخرى تسبقه، أنهت جولتها وانتقلت مشترياتها لأكياس ثقيلة تجعلها تقف متكأة على الحائط وهى تطالع الصحف!

لا ... لا ... لا يمكن أن تطالع الصحف، لابد إنها تبحث عن مجلة ... كتيب تطبيق هذه المستحضرات وآخر صراع الموضة أو بعض الصحف التى تنشر فضائح المجتمع والحوادث، كان يجب له عند هذه المرحلة أن يضع حدا لتفكيره المستمر، اقترب منها وقال:

- يا آنسه المجلات فى الأرفف المقابلة.

إنه فعلا شيء مضحك، وما دخله هو!! لا يعلم كيف للمرة الثانية يخرج عن الآداب والأخلاق الحميدة فى احترام خصوصية الآخرين.

- أوكى.

قالتها بتهذيب دون أن تنهره أو حتى تكشر فى وجهه وتابعت مطالعتها للصحف. يا إلهى هل داخل هذا الرأس الجميل شيء يفكر تماما مثله، يحلل ويقرأ الصحف يختار دون أن ينقاد وراء القطيع بطاعة، يا ترى هل تسعده وتختار جريدة حزبه ويتأكد له أن كل ما ظنه عن النساء خاطئ، لا بأس أى جريدة لا يهم. لكنها هزت رأسها ومضت وهى تردد "ملل". لم يعلم هل الأخبار هى المملة أم أنه هو أم كل العالم؟

رسائل عبث

"حين بدأ حبنا كان كامل الدسم . مبالغ فيه وغير صحى .. لكنه ما نريد ... كنا نبالغ فى الكلام المعسول ..."

ظلت هذه العبارات فى رأسها بعد أن قرأت مشكلة من مشاكل القراء فى صفحة "اسألى الدكتورة". المجلات جزء من حياتها وتدافع عنها بشدة حين تُـصنف كدرجة ثانية فى الثقافة. أعجبتها مشكلة هذا العدد وهذه الفتاة ذات الحب كامل الدسم. يا ترى كيف يكون ذلك ممكنا؟ ولماذا بدأ فى التلاشى؟

تنقلت بين الصفحات حتى باب التعارف، هذا الباب الذى يثير فيها فضولا كبيرا، مَن هم هؤلاء الغرباء الذين يراسلون بعضهم البعض، الذين لطالما أحبوا السفر والمطالعة وركوب الخيل "على أساس أن الخيول متوفرة بكثرة والجميع يركبها فى مضارب بلاده" ولماذا يصرون على البريد العادى فى وجود الإنترنت؟؟

واصلت يومها كالمعتاد مع الضجر. وبعد أن طردت الفكرة أكثر من مرة وجدت نفسها أمام شاشة الكمبيوتر تطبع عنوان رسالة للمجلة صفحة اسألى الدكتورة .. لسبب ما أرادت أن تتقمص شخصية حبيب الفتاة ذات الحب كامل الدسم.

كى تستلهم أسلوب كتابة مناسبة أحضرت مجموعة من المجلات القديمة وبدأت تذاكر نصوص المجروحين والمعذبين وكلماتهم المفضلة، كيف يستدرجون عطف وقلق الدكتورة كى تبحث لهم عن حلول وما الذى يجعل رسائلهم تصل للنشر ولا يكتفى بسطرين للرد عليهم فى هامش الصفحة ...

مخيلتها قد تنطلق بها إلى ما لا نهاية، لكنها تريد أن تقيدها فلا تتهور بتأليف تفاصيل تدفع الفتاة فى الطرف المقابل للشك وتدرك خدعتها ... حبيبها حتما سينكر لكن إقناع الرسالة سيزرع نوعا من التساؤل ولتتحرك المياه الراكدة التى شكت منها ونعيد لها حبها القديم ...

غريب، كيف تستهويها فكرة العبث بحياة الآخرين .. الآن فقط أدركت الحماس الذى يبديه المشاهدون لبرامج الواقع reality TV حين يرسلون رسائل لإثارة الفتنة فيخبرون أحد المشتركين أن زميلاه تحدثا عنه بالسوء فى غيابه ذاكرين الحديث والمكان بسعادة غامرة.

نفس الرغبة التى تدفعها هى لتضليل احد المتصلين اذا اخطأ الرقم:
إذاعة 105 أف أم
أيوا أنت على الهواء .. سؤالك؟
عايزة أشترك فى المسابقة
انتظرى نحولك للكونترول ... ثم تحولها لصديقتها ويمضون الوقت باللهو ... ما المشكلة! بإمكانه معاودة الاتصال بالرقم الصحيح.

أتمت كتابة الرسالة وبعثت بها للمجلة من مكانها أمام شاشة الكمبيوتر، كم هى سعيدة بعدم حوجتها لطوابع البريد ...

فى العدد القادم كان ما توقعته، لقد تم نشر الرسالة مع توضيح أنها رد على السؤال السابق لصاحبة الحب كامل الدسم، الدكتورة أعربت عن فرحتها من تجاوب الحبيب، قال الحبيب إنه فعلا يشعر بالملل التى تحدثت عنه الرسالة وأنه للأسف عاجز عن مواجهة زوجته بذلك وقد سئم، وعليه، يجب أن تجد لهم الدكتورة حلا. لقد بدأ الأمر مقنعا هى نفسها نسيت كم اجتهدت فى تأليفه.

على ضوء المعطيات الجديدة دبجت الدكتورة الصفحة بقائمة النصائح المعتادة التى يفترض أنها ترضى الطرفين، وهنأت صاحبى الرسالة على إدراكهما للمشكلة فهو طبعا نصف الحل، بضع أسطر سحرية أخرى وانتهى الأمر.

فى العدد التالى نوهت المجلة عن استمرارية مسلسل الرسائل وأنه على القراء ترقب رسالة الفتاة وملحق عن قصة حبهما، كان هذا تطور درامى للأحداث لم تتوقعه، هل حقا فجرت رسالتها العبثية كل الجمود ونقت الأجواء المشحونة؟

تــُعدُّ الأيام بانتظار العدد القادم ... تتوقع كلمات الشكر ووصف جميل لحالهما المثالية، لابد أنهم اكتشفا طريقة جديدة للحب متوازنة وصحية. وأتى اليوم الموعود ... الرسالة تحدثت عن سعادتهما وكيف بدأ ينتقلان لمرحلة النضج العاطفى وما إلى ذلك ... فى الختام ملاحظة أن الحبيب اعترف أخيرا أنه أرسل الرسالة.

القسم الثانى:
With love…..

- لا يوجد حل سوى موت أحدنا
- زى أخوى وواحد
- شكل آخر للحياة السعيدة
- إبراهيم صديقى
- Milk & Chocolate
- استخارة
- لم تتغير
- حبيب سمسم ... الخرافة
- وداع سمسم

لا يوجد حل سوى موت أحدنا

كان لابد أن تموت هـى أو أموت أنا ويقتلنى أننى أفضل موتها هـى ...

كم أنا شرير وعاشق ويائس. منذ عشرات السنين قبل أن أولد كنت موجودا، هكذا اقتنعت بعد أن شاهدت فيلما أمريكيا يتحدث عن أن الأرواح تنتقل، وهكذا قرأت فى أحد الكتب. من وجهة نظر دينية لا أظن ذلك، كانت هذه فكرتى قبل أن أكبر وأنضج أكثر ... هل حق أنا ناضج؟ إذن ما هذه الطفولة فى اختياراتى.

إذن كنت أحسبنى موجودا فى صيغة أخرى، هكذا حدثتها ذات مساء دون أن أدرك أنك حين تخبر أحدهم شيئا مجنونا كهذا فإنه يصبح جزءا منك، لقد اقتحم فكرك وأشركته فى جنونك، وعليه فإننى حقا الجانى فى قصتنا كلها.

أحببتنى ثم أحببتها أم العكس، لا أدرى، وأظنها لا تدرى أيضا لكنه كان. وبعدها بدأنا نفكر! أليس هذا مضحك وسخيف، أم أنكم قمتم بذلك أيضا.

بالنسبة لها كانت صغيرة وطيبة، وعليه فإننى أكرر أننى حقا الجانى فى قصتنا كلها.
بالنسبة إلىِّ كنت فى اواخر الثلاثينيات، سافرت كثيرا مع زوجتى وعشت فى عدة دول، أمثل بلدى كملحق ثقافى فى سفاراتها.

التقيتها صدفة فى السفارة، واجهتها مشكلة ولم أكن المسئول عن حلها، لكن ولتواجدى مكان زميل لى ساعدتها. مرت سنة والتقيتها مرة أخرى، هذه المرة فى المطار كنت أسافر وحدى، جالس أتصفح الجرائد وفكرة أننى لا أجيد الإسبانية تقتلنى، لطالما حاسبت نفسى أبتدئ من الحد الذى يُـقال عنه ممتاز، لا يحق لى الامتياز، فهو عادى يجب أن تكون درجتى أكبر من المقياس نفسه، ولذلك كون الإسبانية ليست ضمن الـ 7 لغات التى أتقن يضايقنى.

وقفت أمامى منتظرة أن أرفع راسى خجلة من أن تقاطعنى - كما يبدو - كنت مستغرقا فى ذلك المقال عن السياحة فى إسبانيا، حين نظرت عرفتها مباشرة كأنما كانت فى الرف الأول لذاكرتى معلمة بكلمة "مهم".

- أستاذ عادل؟
- "نعم أنا هو ... أنتِ .. رشا طالبة فى ... وكان عندك مشكلة فى المنحة صح؟" أدهشتنى ذاكرتى حقا ... وأدهشنى أكثر الحماس فى صوتى ...
- أيوا أيوا ... شكيت إنه انت بس كان لازم أسلم عليك وأشكرك تانى.

- تشكريني؟
- أيوا بجد أنا كنت فى ورطة وأنت ساعدتنى، كل ما أفكر إنى كنت هافقد المنحة باحمد الله وباتذكر مساعدتك.
- أنت ناسية إنه ده شغلنا ...
- ....

صافحتنى ببهجتها المحببة وتمنت لى الخير ومضت. غمرنى الدفء من إحساسها بالامتنان، بدت لى أكثر صدقا وبراءة من أغلب الناس ... حين حطت طائرتنا التقيتها مرة أخرى، ساعدتها فى جمع حقائبها وأوقفت لها تاكسى ... ولأننى ممثل البلاد تمكنت أن أبرر إعطائها رقم هاتفى.

- ده كارتى ... إذا ضيعتى ورقك ولا عملتى مشكلة تانية ... بسرع لك الإجراءات فى السفارة.
- ههههه ... أنا فى منحة دكتوراه المرة دى ... بطلت اللخمة بتاعة زمان ... شكرا ليك.

هى لم تعلم وقتها أننى متزوج، هى لم تختر أن تكون كل الدول التى تعطيها منح دراسية أكون فيها أنا محلق ثقافى، هى لم تختر أن نلتقى مرات عديدة أخرى وأن تقع فى مأزق وتضطر أن تتصل بى كشخص مسئول ومحترم فى بلاد غريبة. أنا كنت أختار ردود أفعالى وكنت أعلم أننى قد أحبها وقد تحبنى وأنه لا مصير لهذا الحب ...

لم يكن الأمر بعد ذلك مجرد ردود أفعال، لقد جمعت عنها معلومات، رشا الشابة الطيبة والذكية، كانت كل ما أتمناه، الأولى فى كل شيء أى أنها وحسب مقاييس الناس تأتى فى مرتبة بعدى مباشرة، لأننى وحسب قولهم العبقرى، كم هو سطحى مقياسهم، أعلم كم هى أفضل منى، ولذلك أردتها أن تكملنى، فمهما حاولت وطلبت من نفسى الأفضل فلن أستطيع بدونها، وبمجرد ما تملكتنى هذه الفكرة بدأت هذه المأساة ...

لم تشك فىَّ للحظة، كل ما أقوله كانت تصدقه - لا أعنى إنها ساذجة - وكنت أصدقها القول، لكننى لا أخبرها الأمور التى يجب أن تعرف لتقرر، ولذلك أشدد أننى الجانى فى قصتنا كلها.

انتهى العامان ... انتهت رسالة الماجيستير وانتهت فترة وجودى هنا ... رحلت قبلها وشددت أننى أكره الوداع. احترمت رغبتى لذلك لم ترَ زوجتى فى المطار كما كان سيحدث لو أنها أصرت وودعتنى.

لم تسألنى السؤال المحرج ... وبعد؟ افترضت كما يحق لها وبما أننى فى نظرها مثالى أننى سأخطبها ونتزوج ... ولم تدفعنى لذلك بل منحتنى الوقت.

عدت للوطن، أما هى فقد لحقت بأسرتها فى بلاد الاغتراب ... كان أخوها الأصغر يعلم بعلاقتنا، كان رجلا رائعا يشبهها بأنفه الطويل وشعره الأسود الداكن ولجهة غربية كونتها حياتهم فى بلاد متعددة الجنسيات، لم يشعر بالقلق ناحيتى - كما يبدو أشيع جوا من الطمأنينة - ولذلك لم يسأل أبسط الأسئلة، وثق بى وباختيار أخته.

تعالوا لبيتى لساعة، لتروا زوجتى السيدة الراقية التى تتحدث عنها المدينة لأعمالها الخيرية ولذوقها الرفيع، فى بيتى ستشعرون بالدفء فكما تقول زوجتى: "لا يعنى أنك رجل مهم أن يكون منزلك كصورة فى مجلة بلا روح". كان صورة فى جماله وترتيبه، ولكنها صورة متحركة تشعر فيها أنك تود البقاء لفترة أطول كلما زرتنا وتغبطنى، صدقنى أحيانا أغبط نفسى ... آه كم أنا شرير!

لو كنت رجلا عقلانيا لانفصلت عنها، اختلقت مشكلة وتركتها ستبدأ من جديد بعد أن تدرك أننى لا أستحق حبها ... لو كنت غير هذه التركيبة المعقدة لما قررت أن رشا يجب أن تعرف الحقيقة قبل زواجنا بيوم واحد. لو كنت أنصح أى شخص فى ظرفى لنصحته بأن يترك القرار لهما وألا يدير الأمور وحده. ربما تمكنت رشا من تقبلى كرجل متزوج وعاشت معى كزوجة ثانية، ربما عزت زوجتى قرارى لعدم قدرتها على الإنجاب وخدرت كرامتها واستمرت فى حياتها معى، وربما تمكنت أنا من الحياة كشخص عادى متزوج من امرأتين يحب كليهما ويعشق واحدة أكثر لأنها تكمله حقا، لكننى لم أفعل ...

الصورة المثالية كانت أن أكون أرملا ... كان يمكن ألا تعرف رشا أننى التقيتها قبل أن أترمل، فهى لن تسأل متى توفيت زوجتى وإن سألت يوما ستكون هى زوجتى أم أولادى وسأتكمن من الكذب بشكل أو بآخر لأبرر موقفى، لن يكن هناك من يناقض روايتى عن زواجى، لن يخبرها أحد أننى وزوجتى لا نتشاجر، لا يوجد من يعلم هكذا تفاصيل خاصة.

قتلتها إذن، دون أى سبب منطقى، قتلتها وقتلت نفسى فى نظر رشا حين أخبرتها بالحقيقة ... وبذلك وباختيارى للحظة الأخيرة لإخبارها كنت قد دمرت رشا وقتلتها بحب رجل مريض.

ذكرت لها أنه تصور لى أنه لا يوجد حل سوى موت أحدنا، وأنه لا يمكننى أن أقتل نفسى، لا أدرى لماذا تزوجتنى رشا رغم ذلك. لا أدرى كيف تمكنت أن تعيش معى كذبتى المقيتة أن زوجتى سقطت من الشرفة ... لكن رشا لم تختر أن تحبنى، لم تختر أننى متزوج، لم تختر أن أقتل زوجتى، لم تكن قادرة على تركى لأموت من الندم. فعلت كل شىء كى أكفر عن ذنبى ... حاولت كل شىء كى أشعر أن الله غفر لى فأغفر لنفسى، لكننى أدركت أننى لا أستطيع، فلا تستمع لمحامى الدفاع، لا تفكر أننى أصبت بالجنون، أو أنى فجأة اشتقت لزوجتى الأولى رحمها الله. كل ما فى الأمر أننى مؤخرا لم أعد أستطيع ادعاء أن شيئا لم يكن.

سيدى القاضى ... زوجتى ... أم أولادى ... أجمل شيء فى حياتى ... لم تكن تتستر على مجرم، لقد كانت شخص طيب تريد أن تساعد شخصا تحبه فى رحلته مع تأنيب الضمير، إنها تعلم جيدا أننى كنت قد مت مع زوجتى وأنها لن تسعد معى، رغم ذلك ضحت بسعادتها لأجلى وأنا لا أستحق ... قد تحاول أن تخبركم أننى كنت فى حالة جنون حين قتلت زوجتى أو أننى الآن مجنون وأن زوجتى سقطت ببساطة من الشرفة ذات نهار، لكن الحقيقة أننى أغبى عبقرى فى الأرض، لقد كنت شريرا وعاشقا ويائسا ... خلطة سيئة جدا ... أرجوك دعها وشأنها فإننى الوحيد الجانى فى قصتنا كلها.

زى أخوى وواحد

"زى أخوى وواحد" "زى أخوى" .. تردد هذه العبارة كتعويذة ساحرة أو كذكر تحفظ به نفسها من حبه، مع صباح هذا اليوم وجدت أنها مليئة بالشوق. لقد طال غيابه فى رحلة العمل التى اختير لها هو ومجموعة أخرى من زملائها، سيعود اليوم.

فيروز فى السيارة تحكى لها عن شوقهما له "اشتقت لك ما اشتقلى ... باعرف ما راح بتقلى ... طيب أنا عم قلك اشتقت لك" ... بداية غير موفقة فى تنفيذ خطة عدم حبه، غيرت المحطة، إذاعة أخرى تخبرها عن العراق والقتلى، هذا ما تحتاجه، قضية تفكر فيها حتى موعد لقائه ... محلل سياسى بغيض يتحدث كعالم يطرح وجهة نظره الشخصية كحقائق ...

المؤسسة تعج بالوافدين من الرحلة، بطاقتهم الإيجابية ورغبتهم الخيالية فى رواية كل ما حدث فى الرحلة وكل المغامرات التى قاموا بها أو ألفوها للمزيد من التشويق، تجاوزت الطابق الأول بسلام دون أن تتكرر قصة واحدة، فى مكتبها جلست ونظرت عبر الحواجز الزجاجية التى تفصلهما، مكتبه الخالى، مرت بعينها على المكاتب المجاورة، الكل تجاوز مرحلة التحية وعم هدوء وانشغلوا بالعمل ..

يا ترى أين هو؟ لم تجرؤ على السؤال؟ آخر ما تحتاجه هو إشاعة تربط اسمه باسمها، سيقول له الجميع بخبث "مها سألت عنك" ليربطوها بأى شخص إلا هو، عينيها ستفضحها إن بدءوا لعبة بهذه الخطورة، العام الماضى كان يُقال أن حاتم خطيبها لأنه يرعاها ويهتم لأمرها وكانت تناديه خطيبى دون قلق ... مجرد لهو ...

يا ترى أين أنت يا غسان؟ كيف تحب شخصا اسمه غسان، اسمه يشبه أسماء الفلسطينيين وهى لا تحب الفلسطينيين ...لا إنها لا تحبه ... "زى أخوى وواحد".
كان غسان فى حياتها كالمشاهير، تسمع أخباره شاءت أم أبت دون أن تعرفه شخصيا. تشابك حياتها بحياته؛ جاره زميلها فى الكلية، صديقتها قريبته، معارفها معارفه، والجميع يبجله، يا ترى من أنت يا أيها الغسان كان فضولها لمعرفته كبيرا ...

عندما عرفها به المدير مع مجموعة زملائها الجدد، حدثت نفسها "إذن ها هو أنت أخيرا ... لست كما توقعت" ... بالتأكيد غسان أيضا سمع باسمها مرات عدة، على عكسها أقر بذلك بعد يومين:
- مها أنت حسن بخيت صاحبك صح؟
- أيوا ... صاحبي شديد (صديق مقرب) ... أنت بتعرفه؟
- جارنا ... تقريبا متربيين سوا ...

حسنٌ يا أيها الغائب ما الذى يؤخرك اليوم ... تعال لقد تعوذت من حبك وتحصنت من ضعفى وأعدك أننى لن أحبك اليوم، فقط تعال ...

كم هم حمقى أولائك الذين يربطون البعد بالنسيان، كيف لها أن تنسى صباح الخير مع أعرض ابتسامة فى الوجود، كيف يمكنها ألا تستحضر ضحكاته العالية مع الجميع، روحه الحلوة، غسان فى المكتب إذن كل الأمور ستكون على ما يرام، ستحل المشاكل ويهدأ المدير ويحصل كل على مبتغاه ... تعتقد أن إحساسها بالأمان معه هو أخطر ما تواجه.

مرت ساعتان ولم يحضر، ربما يتواجد فى الفيس بوك ... غسان: "عدنا"، كان هذا تعليقه قبل خمس دقائق فى الفيس بوك، هل تعلق وتخبره أن "العود أحمد" أم تكتفى بابتسامة؟ هل تسأله لماذا لم يأتِ للعمل ما دام قد عاد، لماذا لم يكمل جميله ويعود لها لتراه خلف الحواجز الزجاجية ويرسل لها أوراقا للمراجعة، أحلى من كل الأوراق، أوراق تتيح لهما أن يتحدثا، دونما قلق، دون أن يتسرب له إعجابها به.

يا الله ... عباس: "لقد عدت أيضا"، معلقا على عودة غسان، لقد نسيت أمره؛ عباس زميلهم أيضا يعمل فى العلاقات العامة مما يشكل لها راحة كبيرة، فكلها ساعات قليلة فقط التى يمضيها فى المكتب، فلو كان الأمر دواما كاملا لماتت متسممة به.

مقرب لغسان وإن كان لكل منهم عالم مختلف تماما، عباس يقتات المشاكسة والعبث، لا يمكنه أن يهدأ ولو للحظة، كثير المزاح وهى تظن أنه يخلط مزحه بجده بخبث وهذا ما يجعله جبان فى نظرها.

وعلى ذكره ظهر عباس وبدأ يسلم ويحيى حتى وصلها الدور:
- وييييين يا عسل مشتاقين والله.

- حمد لله على السلامة (سبق وعنفته فى منادته لها بالعسل لكن لا حياة لمن تنادى)

فتحية صديقتها التى رشحتها لهذه الوظيفة فى بداية الأمر تظن أنها غبية، كيف تضيع عباس الأنيق، ابن الصحفى الكبير، تزعم أنه طيب وما فى قلبه على لسانه، أما غسان فمزيف وعاجلا أم آجلا سيبدو وجهه الآخر.

من الغريب أن تقاس المشاعر بالمواصفات، مع أن التجارب توضح أن أفشل الرجال متزوجون من نساء يعلمن عيوبهم قبل الزواج والعكس صحيح، هل فتحية تحب حسب المواصفات والمقاييس أم إنها مجرد نظريات.

ما زال غسان متفوقا بسمعته الطيبة وأخلاقه الحسنة وإنْ جادلوا أنَّها متكلفة،
اليوم ينقضى، أثر التعويذه ينزوى، لماذا تشغلنى لهذا الحد. عادت للمنزل وهى توازن فى خياراتها، تترك العمل ليخرج من حياتها؟ حماقة، ترتبط بعباس لتنساه؟ انتحار، تعمق علاقتها به لتكتشف عيوبه وتسقط عنه أقنعة الكمال؟ خطر زيادة تعلقها به أكبر. لابد أن حياتها فارغة، ستجد أمرا يملأ وقتها وتفكيرها، ارتاحت لهذا القرار ...

رن هاتفها ... غسان ... "زى أخوى" ... "زى أخوى" ... "زى أخوى" ثلاث مرات واستعينى بالله يا بت ...

- مافى حمد لله على السلامة ... مالك غايب؟
- الغايب عذره معه ...
- إن اكتشف حاجة خطيرة ... في السفر دا ..كان مفيد.
- ممتاز ... أصله السفر فيه سبع فوايد ... اكتشفت شنو يا كلومبس
- اكتشفت إنى بفكر فيك طول الوقت.

شكل آخر للحياة السعيدة

في عالم الفتيات يكون كل شأن ذا أهمية محدودة ما دام لا يقود في نهاية المطاف لفارس الأحلام، كل الفتيات، لا ... ليس كلهن بالتأكيد، لكن مها ورشا من هؤلاء الفتيات.

رشا كانت ومنذ الأزل فاتنة، مها كانت الصديقة الأقل جمالا، إذا ما أخرجتها من الإطار الذي يجمعها دوما ورشا فإنك حتما ستجد أنها رائعة. من حسن الحظ أن الصديقتين لم يفكرا في تأثير طغيان جمال إحداهما على الأخرى، ولكن مع ظهور دينا في الصورة بدأت المقارنة. نسمة كانت من مدينة أخرى لم تشاركهن حياتهن إلا في آخر سنة من سنوات دراستهم الجامعية، لسبب ما تعاطفت رشا مع الفتاة الجديدة وكان لابد أن ترعاها.

مرت ثلاث سنوات والعلاقة بين الفتيات على أحسن ما قد تكون، مها لم تختر أن تكون صديقة لهذه الفتاة الجديدة ...

- "يعني مش علشان صاحبتها لازم أصاحبها أنا كمان"، كانت تلك عبارتها الشهيرة التي ترددها لرشا التي تضحك وتجيب:
- "هتحبيها بس أنت لو بطلتي حركاتك دي هتحبيها".

وقد كان، لقد تمت التصديق على أهلية الجديدة وانضمت لهما، نسمة من جهتها كان الأمر تمضية أوقات مسلية ... ومن تعريف التسلية لديها أن تعبث قليلا بالآخرين.

- أنتِ عارفة إن رشا مغطية عليك خالص.
- كيف يعني؟؟
- يعني أنتِ جنبها بتكوني عادية مع إنك مبالغة ... أنتِ عودتيها على كده.

بغضب عنفتها، لكن بدت لها الفكرة الغريبة منطقية مع الأيام.

وبدأت تلحظ أن الحديث يكون موجها لها ومتمحورا حولها مع أحد الشباب المحنكين المنشورين في الحرم الجامعي، لكن وبمجرد ظهور رشا تتلاشى صورتها وتبدو كما لو أن إضاءة المكان سلطت عليها وأظلم كل شيء، بما فيهم هي، مها بشعرها الأجعد كأغلب الفتيات السودانيات وإن كانت تعالجه وتحسن تصفيفه. للحظات تشعر بالغيرة من جمال رشا ذات الجينات المغربية لظاهرة في بشرة أقل تأثرا بالشمس وشعر وإن كان قصيرا لكنه لامع وحريري.

لحظات صغيره تعود بعدها مها لشعورها الطبيعى الطيب تجاه صديقة الطفولة التى تود لو تمنحها كل شىء وتقتسم معها أى شىء مهما كان، حتى أنهما لطالما نذرا إنه وفى حال وُجد رجل مثالى واحد فإنه من حسن حظه أنهما ستكونان الصفقة المستحيلة ضرتين تحبان بعضهما ...

على الطرف الآخر كانت دينا توسوس لرشا بأمر آخر ...

- أنتِ عارفة مها دى غتيتة ما ممكن تكون الأولى فى الدفعة وأنت شايلة ملحق.

- لا طبعا ما تبالغى أصلا أنا المادة دى تحديدا ما كنت بـاحضر يعنى حتى لو حليت كانت درجات أعمال السنة هتشيلنى ملحق.

- وباقى المواد.

غضبت رشا وقطعت الحديث لكن بدبلوماسية فهى تكره النقاشات الغير مجدية. فى الامتحان التالى أصرت رشا أن تدرس مع مها وهو أمر لطالما عرضته عليها مها دون جدوى. لا داعى أن أخبركم أنها دون أن تدرك كانت تدرس تحركات مها لتعرف هل كانت سعيدة بمساعدتها أم لا!

مرت الزوبعة المسماة دينا وتخرجن جميعا وخرجت من حياتهما بالتدريج. مع الأيام اتضح لكليهما الأفكار المسمومة التى كانت تبثها، وساد الود مجددا صافيا تماما.

فى عملها الأخير وجدت مها غسان، وكان حبا ميسرا عانوا فقط من فترة التساؤل الأولى والتأكد من مشاعرهما. رشا على عكس التوقعات تفرغت للعلم، سافرت وحصلت على درجة الماجيستير فى تخصص دقيق وبدأت تفكر فى رسالة الدكتوراه، بطبيعة الحال زادت صفوف طالبى القرب واختلفت جنسياتهم ودرجاتهم العلمية، شىء من القرف أصابها لا تدرى ما هو؟ لكنها ترفض دون أن تفكر للحظة.

الماسنجر ربط الصديقتين، و تمكنت كل منهما من تغليف حياتها بغطاء براق، كثيره هى الجمل التى كتبتها كل منهما على شاشة الماسنجر لكنها مسحتها وزيفتها قبل الإرسال للطرف الآخر، شىء مـ فى حقيقة حياتهما كان ملك للأخرى وفقدته الآن.

- عارفة الشغل ممل جدا مافى أى موضوع.
- مافى زول كده ولا كده.

- لا لا . . يا ريت يا فتونة ... ما أنت عارفة صاحبتك ... أنت كيف ناس لندن؟

- لندن مين ... كله زى بعض وكله جى يقرا بس.

- القراية كيف بالمناسبة.

- لسه ما خلصت الماجيستير! صاحبتك البليدة ما زالت بليدة.

- يا بت أنت ما تبطلى تقولى كده.

رشا حصلت على منحة للدكتوراه والتقت عادل مرة أخرى، ذلك الدبلوماسى الرائع بعد أن يأست تماما من وجود رجل يمكنها أن تحبه حقا. واصلت دراستها وعادت للسعودية وهى تفكر أنه لابد لها أن تخبر مها فى أول رحلة للوطن.

مها فى ذات الوقت تمت خطبتها ووجدت أنه لا مفر من إخبار رشا. فاتصلت بها. رغم خيبة رشا بأن تكون آخر من يعلم لم تكن تجرأ على لومها فهى نفسها تخفى عنها أنها درست الدكتوراه كمنحة ولم يتكفل والدها بالمصاريف كما تدعى وها هى تخفى وجود عادل أيضا.

مرت سنوات وها هى رشا تقف عاجزة عن إخبار صديقتها بحقيقة موت زوجة زوجها الأولى، تعجز عن البوح والثرثرة التى كانت طبيعية جدا بينهما، تذكرت دينا وسخرت من الأيام كيف تمكنت من أن تصنع ما عجزت عنه تلك الفتاة الفتانة كما تقول مها. هناك حديث وُجد ليبقى سرا ويكبر السر ونلفه بالأكاذيب.

عندما يتعلق السر بالرجل، فإنه من واجبك كزوجة جيدة الصمت، حقيقة تعلمتها كل من رشا ومها بطريقة غير لطيفة. تشعر كل منهما بالوحدة، ولكل منهما هَـمٌّ يسد الأفق. تحولت ضحكاتهما لسخرية، بحر من اليأس يدفع رشا للتوقف عن أبحاثها وتقوم فجأة بتقديم استقالتها من مركز قيادى - لم تحصل عليه بسهولة - وتجلس فى البيت وهى تردد أريد أن أتفرغ للأولاد.

عادل يغرق ولم تعد قادرة على جذبه، تعلم أنها ستفقده فى أى لحظة. مها فقدت السيطرة على وزنها ولم تعد تكترث، إن شكت بغسان شكها أصبح يقينا لا تريد أن تواجهه، تتذكر كيف أن لمعانه لم يكن بالشيء المصدق، لا يمكن أن يكون رائعا لهذا الحد، لكنها ما زالت تظن أنه مثالى حتى لو أحضر أخرى لحياتهم دون سابق إنذار ... إنها لعنة ... هذا أمر يفوق الحب.

فى إحدى جلسة القضية الموجهة ضد عادل همست مها لرشا:
"إنا أيضا كنت أخبئ عنك سرا لست وحدك التعيسة . غسان يخوننى!"
نظرت لها رشا بدهشة فصلتها للحظة عن جو المحاكمة ... صمتت طويلا ثم قالت بهدوء كأنما اتضح لها أمر ما: "لعنة أصابتنا ... لم يعد لحياتى طعم منذ تركت الحديث معك ... أحيانا أقول لنفسى إننى ربما أعدت النظر فى زواجى لو أننى شاورتك ... سيحكم لصالح عادل أنا لا أصدق أنه فعل ذلك".
ابتسمت رشا بمرارة ... "لقد فعلها ... لقد قتلها ... زوجى قاتل وزوجك خاين ... ينعل أبو ده حظ".
- "وليه اعترف . . قصدى بعد الزمن ده كله؟"
- "علشان مثالى" ...

إنها فعلا لعنة، هذا أمر يفوق الحب أيضا. فكرت مها أنها لا تستطيع القيام بما فعلته رشا، مسكينة تحبه جدا، كيف تقول إنه مثالى، كيف تعيش مع قاتل!

حكم القاضى بسجنه، وكان ذلك أهون بكثير من الإعدام. أصر عادل أن يطلقها لكنها قالت إن ما جعلها تصبر على جنون ضميره الملتهب سيجعلها تتجاوز سجنه أيضا، قرار تركه كان صعبا وهى مجرد عاشقة، كيف تتركه الآن بعد أن نسجت معه حياة وبيتا وبعد أن أصبح أخيرا جديرا بالاحترام الكامل ... رجل يتحمل وزر أعماله.

بدعم من صديقتها تمكنت مها أخيرا أن تواجه غسان الذى اتضح أنه متزوج من أخرى فعلا، حدث إذن الأسوأ ولم ينهر العالم، لم ينفطر قلبها أكثر، لم تشعر بالجرح أعمق، لم ينكسر كما لو كان كذب واستخف بذكائها. تكفل الزمن بحل مشاكل مها الزوجية بطريقة لم تتصورها، جعلته الأيام يأتيها ليبكى صديق عمره ولم تكن تقوى على معاقبته بعد ذلك، استعادت قوامها وشتات حياتها.

رشا لم تجد بُـدا من السفر، لن تستطيع العيش فى وسط مجتمع لا يغفر لزوجها ما تمكنت هى من مغفرته. التقت بدينا التى سألتها بخبث عنها وعن مها وكيف تسير حياة كل منهما

- تسير نحو الأفضل ... مها تتقدم مهنيا وزواجها ينعم بالاستقرار، محظوظة هى بزوج نصف دوام (مشيرة لزوجة غسان الأخرى قاطعة سكة الشماتة التى قد تسلكها دينا)
- وأنا أنتظر أن يخرج عادل، تبقى له عامان بعد تخفيف الحكم، فى هذه الأثناء أتابع عملى فى مركز أبحاث وأبنائى متفوقون والحمد لله.

من قال إن للحياة السعيدة شكل واحد متفق عليه، اتضح لهما (مها ورشا) أن الغفران ليس مجرد فضيلة بل هو الاختيار الذى يتجاوب بشكل أفضل مع ذاكرتنا وأيامنا السيئة.

إبراهيم صديقى ...

قياسا على مخططاته كانت هذه أفضل أيام غسان، إنه يعيش حلمه، لكنه يشعر بالضجر والضغط الشديدين.

اقترب موعد تسليم المشروع الثالث الذى تنفذه شركته هو وصديقه إبراهيم. المكتب الصغير لا يُسمع فيه سوى صوت المكيف مع تكتكات خفيفة يحدثها حذاء مديرة المكتب "سمية". متوترة سمية ومشدودة الأعصاب ... هى السبب ... يفكر غسان وهو يتمنى أن يكسر كعب الحذاء. كما توقع قام إبراهيم بجولته التفقدية المعتادة، غسان يترقب المعركة وهو يحرك قلمه بين إصبعيه بتوتر، صوت خافت آخر يُضاف لصمت المكتب.

- "سمية ... عدلتى الـ Proposal".
- "لأ ... شغالة فى الإعلانات".
- "لو سمحتى ... ما تأجليه أكثر من كده ... أنا عارف الإعلان **urgent** لكن أفتكر كان الوقت كافى و ..." استمر إبراهيم فى عتابها.

قبل شهر لم يكن يعنى غسان تنمر إبراهيم عليها، لكنها أصبحت تخصه جدا الآن. دقات قلبه تزيد ... حاول أن يتشاغل عنهما بأى أمر آخر كى لا ينفلت الغضب منه. فى آخر ثورة غضب كسر اللوحة الوحيدة التى تزين المكتب، اللوحة التى أمضى أسبوعا وهو يصممها وينتقل بها من مطبعة لأخرى حتى أصبحت مثالية، شعار الشركة - شركته وصديق عمره.

لحسن الحظ تم ذلك فى الليل بعد انصراف سمية، هذا الجزء من طباعه مدفون ومختفى عن عموم الناس. كان مراهقا شرسا واجتهد حتى أصبح ما عليه اليوم، ترعبه فكرة العودة لعنفه القديم.

إبراهيم أيضا تغير، قديما كانت معتقداته مقدسة وكل شيء عنده بحساب يفكر فى الآخرة ويتقى الله، إنه الشخص الذى تراه فتتذكر روعة الإيمان. شيء ما نُـزع منه من داخل روحه، رغم إنه أنكر لكن نظرة عينه تفضحه، وجد غسان زجاجة خمر فى درجه!

- غسان (وصله الدور فى حملة التفتيش)
- يا نعم ... قالها جزلا مستديرا بكرسيه 180 درجة ليواجهه بابتسامة قال لنفسه ... "ادفع بالتى هـى أحسن" كما كان يعلمه إبراهيم.
- ممكن تيجى معايا لحظة.

نظر لسمية وهو يتجه للخارج مع إبراهيم، سمية رسمت له قلبا بيديها فى الهواء ، ابتسم للحظة ثم غص قلبه وهو يتذكر أن "مها" تفضل الموت على رسم قلب صغير بيدها. لكنها زوجة والزوجات يصنعن بيت وأسرة وهذا لا يعنى بالضرورة رومانسية ... أراحه هذا التصنيف.

فى بداية الشراكة وبمنتهى الود قسما العمل؛ غسان للعلاقات العامة والتوظيف والأمور الفنية. إبراهيم المدير العام والحسابات والتخطيط والميزانية. أن يكون لك عملك الخاص وأنت فى بداية الثلاثينيات من عمرك شراكة مع أعز إنسان هو النعيم الذى لا نظن أن الحياة سخية كفاية لتعطينا إياه، لكنه حصل عليه ... وتزوج مها أيضا، تلك الفتاة التى أحبها كما لم يحب من قبل. كم هو محظوظ.

كل شيء يسير عكس المتوقع؛ مها، إبراهيم، سمية، حتى هو نفسه لم يعد يطيق صبرا، لقد بدأ يعود لوقاحة لسانه التى كف عنها جاهدا. أخبر مها أنه يود أن يترك العمل مع إبراهيم ...

- طيب أنت قعدت اتكلمت معاه.
- لا ... أقول له شنو ... آه ... إبراهيم ... أنا ما طايقك ... أنت بقيت مدير فظيع.
- ههههه ... لا طبعا ما قدر ده.
- لا يا مها أنت ما شفتيه جنا الولد.
- طيب دخل سمية واسطة.

أفزعته الفكرة، لو أنها شخص آخر لقال إنها تعلم وتريد أن تحرجه، لكن كيف تتخيل أن صديقتها التى عملت معها فى نفس المؤسسة وشهدت حبها وزواجها تقوم بخطف زوجها، هل فعلا تقوم هذه الفتاة باستدراجى أم أننى من النوع الذى لا تكفيه امرأة واحدة، فكر غسان ... ليس كل الحب كامل الدسم ... ليس كل الحب ... كحب والديه ...

كم هى غريبة الأيام لقد تعرف عليهما فى نفس اليوم فى كافيتيريا المؤسسة، مها هادئة وسمية صاخبة، واختار مها ... ما الذى جد فى سمية؟

يبدو أمر إخفاءه عنها قذر ومخزى، سمية يجب أن تخجل من نفسها، يحبها ويشمئز منها، من واقعيتها، من كونها لا تفكر فى مشاعر الآخرين، يعجبه شغفها بالعمل، إتقانها له وتمتعها بالحياة بواقحة وفجاجة كأنما تسخر من كل من يظن إنها بملابسها الملفتة وضحكتها العالية، تقصد استفزازهم ...

جلس غسان صامتا وهو يستمع لموعظة إبراهيم، قديما كان يستمع إليه بقلب متلهف، إبراهيم كان الشخص الذى أنقذه من شلة دمرتها المخدرات، قاده ليعيده لمقاعد الدراسة التى هجرها ووقف معه فى إعادة تشكيل المتبقى من مستقبله، صب من روحه فى روحه فسكن؛ أهداه معارفه ليكونوا مجتمعه الجديد و تمتع ¸ بصفته الصديق المقرب، وهو جواز مرور استخدمه حتى كون شهادته وسيارته ووظيفته لتتحدث عن غسان المعدل، الشاب الذى تتمناه الأمهات زوجا لبناتهن، ويغير منه أقرانه.

كانت نصائح إبراهيم هادئة لكنه قال فجأة :

- أنا هـارفدها يا غسان، معلش مها ما تستاهل كده ...
- أنت صدقت إنك مدير عليّ

تدخلت سمية وانتزعته من المكان بعد أن تعالت أصواتهما، بنعومة همست له "كله فى وقته حلو ... سيب إبراهيم علىّ" ... قرر فى تلك اللحظة أنه سيتزوجها ...

أخبر مها بالأمر حين سألته عن وجود أخرى، لم يحاول أن يلومها، فهو يعلم أنها لم تكن السبب، حتى إنه لم يشر لسمية بصورة مشينة، إنها زوجته ويحترمها بطريقته الخاصة.

بكى عندما بكت مها، ندم، وأراد أن يلغى كل شيء ... أوصلها لبيت ذويها وهو يفكر كيف سينظر لوالدها؟ لا يزال يذكر رد فعل والديه، خصام أمه له، ذهابه لخطبة سمية وحيدا، زواجهما الصامت المكون من عشرين شخصا أغلبهم أهل وأصدقاء العروس.

بات يمضى وقتا أطول فى العمل ... سمية استقالت ووجدت عملا آخر ... وصنعت مصالحة مصطنعة مع إبراهيم.

كل يوم كان منظر إبراهيم يفزعه ... رغم وجود سمية العروس ومها الغاضبة وأمه الحزينة، كان إبراهيم من يحتل تفكيره أغلب الوقت، ما الذى بدلك يا صديقى؟ بعد خلاف أمام أحد العملاء، قرر غسان حل الشراكة، عاد للمكتب فى العاشرة، إبراهيم مغشى عليه وأمامه زجاجة المشروب، تمكن من إيقاظه، قرر أن يبيت معه ليتفقده، قال لسمية إنه ذاهب لمنزل والديه وسيمضى الليلة هناك ليراضى أمه، لن يشوه صورة إبراهيم لديها.

فى الصباح اتصل بمها، لم ترد فأرسل لها برسالة نصية sms: "مها معلش أنا عارف إنه ما عايزة تردى لكن الموضوع ضرورى ... أنا فى المكتب، إبراهيم عيان وما عارف أعمل شنو؟".

فى الظهيرة استجمعت قدراتها على المواجهة وذهبت إليهما، كانت تفكر كم هى حيلة قديمة التى يتبع، يلجأ لصديقه الدمث اللطيف، حضـّرت خطابا طويلا لتقنع إبراهيم أنها تعلم أن الصلح خير لكن الأمر أبشع مما يتصور. كل ما فى أفكارها مترابط لكنه لا يقود للطلاق، النتيجة المنطقية لثورتها، السيناريو الذى ارتاحت له كان يجعل من غسان ضحية لخبث سمية، آه كم تود أن تصفعها، تذكرت أنها كانت تثنيها عن الارتباط بغسان، وترى أن "عباس" أنسب لها، لعله مخطط قديم، لكن بصيغة جديدة مناسبة للوضع الحالى ...

رؤية إبراهيم ممد فى المرتبة التى يرقد فيها عامل التنظيف وبقميص أجعد ووجه خال من الدماء هزتها، جلست على الأرض قربه مصدومة، غسان جلس قبالتها يفصلهما جسد إبراهيم المتهالك محاولا منع نفسه من البكاء، قال لإبراهيم ...

- مها قلقت عليك يا إبراهيم ... شوف جت بنفسها لحد عندك ... أنا هـغير كده يا جماعة.
- يلا نمشى المستشفى
- محمد – الطبيب صديقهم – كشف عليه و راح يجب دوا من الصيدلية ...

مات إبراهيم، فى لحظة وهو مبتسم، لعله سعد بحضور مها، بكونها قد تعود لغسان ...

في طريق عودتهما للمنزل ظل كل من مها وغسان صامتين، موت إبراهيم المفاجئ، تحليل دمه الذي أظهر أنه مصاب بالتهاب كبد وبائي، أن يُـدفن وفي فمه رائحة خمر، كل ذلك كان أكثر من أن يثير حديث ...

كل ليلة - وهو في بيت صديقه وبعد أن ينصرف المعزيون - كان يتصل بها وهو يتساءل، ما الذي حدث لصديقه، مها تقرأ له آيات وتدعو له أن يلهمه الله الصبر. كل ليلة كان يحاول أن يرى معنى لما حدث، يحاول أن يصدق الكذبة التي ألفوها عن موته، وإخفائهم لآثار الخمر.

في اليوم الثالث وبعد أن رفع الفـرّاش إعلانا بنهاية مراسم العزاء سأل شيخا كما أخبرته مها ليرتاح ...

- يعني يا مولانا دي سوء خاتمة؟

فقال الشيخ نعم ... وشرع يصف له هول المصير ... سأل شيخا آخر . فقال له الله أعلم ... وحدثه عن رحمة الله، أرحم بنا من أمهاتنا ... أراحه حديثه.

حدث مها أن إبراهيم عارض زواجه بسمية، حدث الجميع أن إبراهيم صنع منه رجلا، بات نصف حديثه عنه، كأنه بذلك يعوض إهماله لقراءة الإشارات، كيف لم يعرف أن إبراهيم مصاب بمرض قاتل، كيف لم يعنه على الصبر عـوضا عن الخمر، كيف تمكن إبراهيم أن يرعاه ويهتم بحياته الأسرية حتى آخر لحظة، ورغم كل شيء لم يقدم له هو سوى التذمر. عادت له مها، أقنعت نفسها أنها تشفق عليه ...

جمعا معا مالا من الأهل والأصدقاء وطبعا مصاحف كصدقة جارية لإبراهيم، أحس أن الله وفقه لذلك ... ارتاح قليلا.

Milk & Chocolate

للأسف ودون مقدمات محددة يبدو أن الـ Milk وChocolate لم يعودا المزيج المذهل، هل كانت روعة الاكتشاف هو كل ما يهم فى هذه الرحلة عكس التيار؟

تململت فى السرير وهى تردد خسارة ... خسارة. نظرت للنظام الشديد فى غرفتها وأرادت أن تحرك المجلات فوق الطاولة كى يكون هناك شيء يشبهها فى المكان، لكنها محبطة وحزينة ولا تملك طاقة لتنهض. ستمضى النهار مستلقية ما دام فى رحلة سفر فلن يعود لفتح الشباك ويحدثها عن الصحة وعدم جدوى الاكتئاب. متى أصبح حديثه مملا ومتوقعا!!

عندما التقاها كان فى منتصف العشرينيات، يعيش حياته كنزهة وكانت مناسبة جدا للفرح المصاحب للمتنزهين. فى حفل موسيقي تؤديه فرقة ناشئة فى مركز ثقافى للجالية العربية فى فرنسا جلست تدندن أغانى أم كلثوم معهم. توقف هو عن متابعة صديقة عازف العود وركز انتباهه عليها، تبدو الحروف العربية من فمها كالدبلجة، شيء ما فى شكلها يقول إنها ليست عربية

على بُـعد صفين منها شعرت أنه ينظر لها كما تشعر بحرارة شمس صيف متخفية خلف سحاب عابر. ببساطتها المحيرة التفتت له بحركة واحدة ونظرت محاولة تذكر أين التقته من قبل وهل يعرفها؟ شكله مميز جدا؛ بشرته الداكنة، شعره الناعم جدا والكثيف، أما عيناه فهى الأغرب، لابد أنها المرة الأولى التى تراه. فكرت ... "يصلح للرسم".

تذكرت ذلك بفرح وتذكرت أيضا نهاية أول حديث بينهما، فى تأبين شاعر كبير ...

- ممكن طبعا أفضل أقابلك صدفة وممكن تدخلى روتينى اليومى.
- وده شنو يعنى سؤال ولا طلب؟
- لا ده تفكير بصوت عالى. أنا أحسن شيء ألاقيك صدفة كل يوم فى حديقة ... الصباح قبل دوامى بكون بامشى فى توم my dog.
- وأنا آجى كل يوم علشان أسليك فى لحظة تمشية توم.
- صح والله ... ما ذوق ... امممم طيب الساعة 5 فى المطعم التركى نشرب قهوة وممكن نتغدى برضه.
- أنت عارف إنك غريب جدا.

فضولها كان محرك حياتها، وحمد لله أنها تملكه وإلا لكانت الآن مذكورة فى كتاب جينيس كأكثر الناس كسلا فى التاريخ. لم تكتفِ بالدراسة الجامعية فى اسطنبول حيث عائلة والدتها التركية بل أصرت أن تجد لها فرصة فى دراسة الفنون فى باريس، وقد كان.

والدها أرسل معها أموالا طائلة ووصى عليها كل من يعرف فى أوروبا كانت تراقبه وهى تضحك، كيف لأسرة أن تكون بهذه الغرابة، ففى حين تدفعها أمها لتركيا وحيدة مع ورقة بها عناوين

أسرتها ودون دمعة واحدة، يقف والدها دوما قلقا فى كل وداع ويتصل بها يوميا ليسمع صوتها ويتأكد أن صوت دميته الصغيرة يشع بالحياة والسعادة.

في صفقة تجارية فاشلة التقى محمد أحمد بحكمت أوغلان، وكانت قدره، تزوجها وأنجبا ابنتهما الفاتنة نسمة، الاسم الذى أعجب أمها كثيرا لمعناه، ومن ذلك التاريخ شهد السودان نمو طفلة مبهجة تدخل السرور للقلب والعين، ولا نبالغ إن قلنا إنها كانت ظاهرة فى الحى والمدرسة، حتى غادرت للدراسة فى بلاد والدتها.

نسمة ذاتها تعسة، مستلقية وهى تتذكر سنوات حبها الأولى، مدت يدها لترد على الموبايل، إنه هو :

- آلو

- آلو ازيك

- الحمد لله

- ماله صوتك " بالتأكيد لن أخبره أننى لم أنهض بعد" ...

- لا عادى احتمال الخط مشوش.

- احتمال برضو ... المهم أنا هادخل محاضرات وورش عمل لحد المساء، باتصل بيك تانى لما أخلص.

- أوكى ... الجو بارد ما تنسى الكوت "ما معقول دى جملة جديرة به لابد أنه عادها بالقلق على الصحة".

- مرسى حبيبى هشيله معاى ما تقلقى ... أهم شى أنت ما تقعد لوحدك اتصلى بسوسن تجيك ولا اطلعوا أوكى.

- فكرة برضه ... لي فتره طويلة ما طلعت مع سوسن.....اه...ما تنسي .. اتصور صور حلوة.

تذكرت حديث سوسن إنه لا يبدو مثيرا للاهتمام كما تقول مسكن طوال هذه السنين، ظن أن سوسن معجبة به وتُـكنُّ له الود كما يفعل، كم هو طيب حساس وحنون، ستقوم بزيارتها.

فى الحقيقة تشعر برغبة فى أن تقوم بالفعل الشنيع الذى تمتنع عنه دوما، ستقوم بالتذمر من خالد مع أكثر شخص سيدفعها لذلك بجنون سوسن

يكاد اليوم الأول من المؤتمر ينتهى، فقد تركيزه ورغبته فى المتابعة منذ ساعتين، لكنه مجبر على البقاء كرئيس للوفد السودانى. يفكر فى نسمة، يتذكر سفره الأول بعد زواجهما، كان يتصل بىّ فى كل وقت للراحة كى يسليها لأنه يشعر بالذنب أنها مضطرة للبقاء فى الفندق ...

- صدقنى أنا فترانة ما عايزة أطلع.

- اخ بس لو كنت فاضى كنت عملت لك برنامج ممتاز.

- أنا مبسوطة ما تتنش.

يشعر أنه لم يعد فى نظرها ذات الشخص ويؤلمه ذلك، يا ترى ما الذى اتضح لها أخيرا وجعل منه مجرد زميل سكن شريك حياة غير اختيارية. لم يكن يوما شخصية مزيفة، لا يحب الكذب حتى للتجمل ويكره المساومة فى ما يؤمن به، لكنه مستعد دائما للتضحية فى سبيل من يحب.

فى طريق العودة لمكان إقامة الوفد عرض عليه أحد أصدقائه القدامى أن يعرجا على مكان جميل يعرفه كي يعرف أخباره المنقطعة. جلسا وتحدثا طويلا ووجد نفسه مدفوعا لتذكر الأيام الأولى فى علاقته معها.

ولد خالد فى اليابان لأم يابانية وأب سودانى ... كان مشروع سلام ومودة تماما كعمل والديه فى منظمة العفو الدولية. عاش طفولته متنقلا من دولة لأخرى، تركت أمه العمل وتفرغت له حتى كبر وقررت أن تعود للعمل الطوعى وأصرت أن يشاركها، تربى تربية مثالية لحد بعيد. أكثر ما أعجب نسمة هو غرابة حياته، فى كل مرة تظن إنها سمعت القصة الأكثر إثارة للدهشة منه، تـُفاجأ بأنه قد مر بتجارب أكثر تفردا. من النادر أن تجد إنسانا واحدا عاش الحرب والسلام ومرت به كوارث طبيعية وثورات شعبية وما زال فى العشرينيات، وما زال يحمل قلبا كالأطفال، يعشق ويغنى ويرقص محتفلا بالحياة، إحساسه الغامر معدى، تذكر أنها كانت تمضى معه يوما كاملا حافلا ومرهقا وتعود نشيطة على عكس طبعها الأصلى وتظل تقص على زميلتها فى السكن كل الأمور المذهلة التى قامت بها.

علمها الكثير من العادات؛ علمها أن تمسك بكلبه توم وتداعبه دون أن تشعر برغبة فى قطع يديها بعد ذلك، علمها أن تأكل المأكولات البحرية كما يعدها اليابانيون دون أن تعقد مقارنة مع المأكولات التركية كثيرة البهارات.

رغم أنه سافر كثيرا إلا أن تركيا لم تكن من الدول التى زارها، كما أنه لم يمكث فى السودان الزمن الكافى ليعرفه، وبهذا كانت قصة حياتها بالنسبة له جديدة أيضا، ما يحيره هو اختلاف والديها، أبوها تاجر ملابس جاهزة، رجل كثير الانشغال وتقليدى، لكنه حنون حنية الشوايقة (*الشوايقة قبيلة سودانية اصولها في شمال السودان يمتازون بالحنان لديهم العديد من اغاني الاشواق و المحبة حساسين يعني*) ومتفانى جدا فى إسعاد زوجته. أمها ابنة تاجر وصاحب مصنع ملابس تركى مشهور، سيدة صارمة ورسمية تهتم كثيرا للمظاهر الاجتماعية.

والداه كانا نسخة من بعضهما رغم اختلاف الجنسيات، حين يبدأ أحدهما الحديث يتمه الآخر بسهولة، وغالبا ما يتفقان فى الآراء، مع مرور السنين يزيد انصهارهما معا. اتصل بها قبل أن ينام كما وعدها:

- ها حبيبى كيف كان يومك، مشيتى لسوسن؟

- لا غيرت رأيى، اتفرجت على التليفزيون، "قاومت رغبتها فى الحديث عنه مع سوسن حمدا لله".

- أوكى طيب ... أنا رجعت قبل شوية

- يا الله يا دوب خلصته

- لا لاقيت مأمون حسين، تذكريه

- أصله ما معقول

- أيوا بـيسلم عليك، اتعشينا سوا و ...

- وشنو

- اتذكرت أيام باريس.

- غريبة ... أنا كمان اتذكرتها الليلة!!

أنهت المكالمة بسرعة عند هذا الحد، تعرف أنه قد يبدأ حديث العواطف، وربما يعاتبها على برودها وربما يسألها بماذا أخطأ وربما تنفجر فيه فجأة دون سبب واضح. لابد أن جينات أمها هى الأقوى، ها هى تبدو قاسية صارمة ولا تحب الحديث عن مشاعرها متى تخلت عن البساطة التى ظنت أنها ورثتها من أبيها. حينما تقدم لخطبتها جلس والدها معها وسألها عن سبب إعجابها به ببساطة الأصدقاء وقالت إنه طبيب مسئول وناجح وإنه يحبها ويحترمها، اقتنع بحديثها، أجرى عمليات التساؤل عنه ووافق.

أمها سردت عليها قائمة طويلة لأسباب الفشل وكم هما مختلفان ...

- نسمة، خالد ده أسمر شديد.

- قصدك أخضر شديد هههههه.

- أنا ما بـهزر.

- و يعني شنو! ماما.... بقيتى عنصرية كمان .. بابا دا سوداني لو متذكرة

- أبوك سودانى أيوا لكن يشبه العرب أكتر أصوله يمنية.

- ما قادرة أفهم مشكلة اللون دى ... قولى حاجة غيرها.

- يابانى يا نسمة.

- يابانى يا ماما ... برضه أرجع وأقول أنت تركية، يعنى أنا برضه هجين زيه ... نجيب لكم أطفال جيل ثالث زى الموبايلات يشتغلوا فى اي شبكة.

ربما كانت أما على حق، ربما ملت من المغامرة ولم يعد هناك شىء آخر لتكتشفه، انتهى الجنون وبدت الاختلافات مزعجة وصارخة. فلتكن صريحة مع نفسها، حياتها تشبه خالد لا تشبها هـى، تبنت حياته وتخلت عن طريقتها هـى فى العيش.

رغم أنه مرهق جدا لم يستطع النوم، ظل يتذكر كل مشاهد متفرقة من حياته معها، تذكر تجربتهما لتعلم العزف على الجيتار وكم كانا مزعجين حتى اضطر المعلم أن يخصص لهما حصة وحدهما، وقت الحصة كان يمضى فى إطراء كل منهما للآخر وتكتم نسمة ضحكتها العالية مما يسبب احمرار فى وجهها.

تذكر إنه كان يعانى فى كل مرة تدفعه لشراء أكلة كباب أو شيش طاووق وترفض معدته المعتادة على الفواكة والخضار والأكل الصحى التعامل مع البهارات والزيوت. تذكر إنه ظل شهرين كاملين يبحث عن طريقة مثلى لقول كلمة أحبك لفتاة تلقتها ألف مرة، لفتاة يرى أنها تستحق كل الحب. شعر برغبة فى البكاء عندما أدرك أنه كلما أراد أن يقولها لها مرة أخرى، مؤخرا شعر أنها تتحاشى ذلك، لابد أنها لم تعد تحبه.

أمه كانت تقول أن على الزوجة أن تسعى للتخفيف عن زوجها لا العكس، وتخبره أنه مهما كان لابد أن يكون الحنان فى المنزل مصدره امرأة ... كانت تقول ذلك كلما وجدت أن نسمة تتحرج من أن تكون عاطفية.

رن هاتفه، إنها هـى رد بسرعة ...

- خير حبيبى فيه حاجة.

- لا بس ما جانى نوم وقلت بـتكون لسه مساهر.

- فعلا ما جانى نوم. "لا داعى لأن يسألها كيف عرفت، اعتاد مع السنين أن تشعر به وتتوقع ردود أفعاله وإن كان من النادر أن تخبره بذلك".

- أها عايزة تتكلمى فى شنو يا ستى.

- أى حاجة زى زمان.

- تعرفى الليلة فكرت أشترى كلب تانى.

- نسميه توم على اسم المرحوم.

- شلتيها من لسانى.

- فكرة كويسة شديد، أصلا احنا اتنحسنا من يوم ما مات.

- هههههههه تفتكرى كده ... اوعى تكونى عرستينى طمعانه فى توم

- اوبس كشفتنى وأنا الوقت ده كله بـخبى عليك.

- شوفي. جاتنى فكرة خطيرة. "يا رب ما ترفض ما دامت تمزح وتضحك كما كانت قديما".

- فكرة شنو.

- اتصلى بكره وخدى أجازتك السنوية، أنا بـاخد أجازتى برضه ... وجهزى شنطتين كبار جدا ونمشى لباريس.

- الله أى والله خلاص اتفقنا

- اممم يعنى موافقه ..

- موافقه موافقه يالا يا استاذ خلينى أنام علشان أصحى أكسب اليوم من أوله.

- نسمة.

- أيوا حبيبى

- i love u

نام كل منهما وهو يفكر أن المغامرة التى لم يقتنع بها الآخرون تستحق محاولة أخرى. Milk & Chocolate ما زال المزيج المفضل.

استخارة

لطالما سألتها سوسن، سوز... استخرتى؟ وكانت تقول "هـاستخير"، ولكنها لم تقم بذلك أبدا. ألحت عليها الفكرة، سأستخير، هى التى تعتقد أن الاستخارة عند الشك فقط، أمر لجأت له حين كانت مترددة بين الاقتصاد والتجارة، أو بين العمل فى المنظمة أو عند خالها، لكن ماذا تقول، يا رب هل أرتبط بأسامة أم لا؟! بدا الأمر محرجا، إنها تتمنى أن تأتى الإجابة بنعم، بل إنها تشعر بعدم الإخلاص فى سؤال تخشى أن لا تلتزم بتوجيهات الإجابة عليه.

كل يوم كانت تجلس بعد صلاة العشاء وقبل أن تشرع فى الاستخارة تأتيها الذكريات، تسحبها فتهرب وتخلد للنوم وهى تفكر "فى الصباح أستخير إذن". مع النفس الأخير لشتاء ذلك العام كانت بداية السنة الثانية لها فى كلية التجارة. يلفها الهواء البارد ويهزها من الداخل. رغم أنها تكره البرد، فإنها قدرت تلك اللحظات لأنها تعلم أنها الأخيرة، وإن الصيف مقبل وقد قيل إنه سيكون مريعا.

جلست فى عتبات السلم الخلفى متكأة برأسها الصغير على حائط المكتبة محاولة أن تجمع أجزاءها فى مواجهة تيارات صقيعية مسرعة حينما أتاها صوته من الخلف مفزعا، كانت تلك المرة الأولى التى يتقيها، وكان كراسها المنسق المنقول حرفيا من المحاضر هو السبب. عندما يراجع المنهج يشعر أنها عبقرية وإن كان كل ما فعلته هو متابعة حديث الأستاذ وتسجيله، كان يؤكد لأصدقائه أن خطها ينم عن الذكاء ويبرهن ذلك بنتيجة الامتحان.

لم يتوقع أحد أن يكون هناك علاقة، علاقة لم تكن مهمة أو مثيرة بالنسبة له فى البداية، ولذلك تحرج من الإفصاح عنها فهى لا تشبه فتيات مغامراته السابقة، كما أنه يبدو غريبا معها. الهاتف هو المكان الذى يجمعهما، هاتف غرفتها فى سكن الطالبات والهواتف العمومية التى يجدها فى طريقه بعيدا عن فضول رفاقه.

زميلتها فى السكن "سوسن" تعلم الجزء الذى تقوله "سوزى" ... إنه يدرس تجارة معها فى الجامعة واسمه" أسامة".

فى عامهما الثالث بدأت تشعر أنها تورطت جدا بمشاعرها وأن هذه المكالمات التى تعوضها عن غياب عائلتها، البرامج التليفزيونية وكل وسائل الترفيه، باتت إدمانا لا تظن أنها قادرة على تركه.

فى ذات الوقت أدرك أسامة أنه توقف عن ملاحظة الفتيات وأن كل ما يريده أن يمر عليها صباحا ليلقى التحية أو ليأخذ كراستها المنسقة، وعليه، خرجا من الهاتف لمدرجات الكلية معلنين أن الإشاعات التى رددها البعض صحيحة، وأن الخط الذى يرسم صورتها مع مقاطع غنائية فى جانب بعض كراساتها الشهيرة التى تنتشر نسخ منه بين الطلبة قرب الامتحانات هو فعلا خط أسامة الذى يعرفه أصدقاؤه جيدا.

كان يوم شتوى غليظ مع احتمال هطول أمطار، وكانت سوزى متوردة من التوتر والبرد. جلسا هناك لفترة كافية ليتم تلقى كل الدعابات والمشاكسات ... قام أسامة بالرد على جميع الأسئلة نيابة عن كليهما.

مر عام آخر وأصبح الوضع مريحا ... سوزى وجدت أن صديقاتها لم يقمن بسؤالها عن سر إعجابها بأسامة واعتقدت أنهن يستحسن اختيارها. رغم أن ذلك لم يبدو منطقيا إلا أنها فضلت هذه النظرية، ولما لا ... إنه يتمتع بشخصية آسرة، تأسرها هى على الأقل. أسامة وجد الجميع يغبطه سرا وعلنا ... وأراد الهرب.

تخرجت اليوم وما زال صوته المحبب يفزعها دوما كلما تعمد أن يأتيها من الخلف فى لحظة اندماجها فى أمر ما. فى نهاية حفل أعده لها فرحا بنيلها جائزة الكلية تحدثا طويلا أمام الطاولات التى تركها الجميع فى حالة فوضى. بدت الكلمات غريبة عليها لكنها تقولها ببساطة و تدلى بتفاصيل خطتها لانقاذ حبها له من حقيقة الفارق فى التعليم، أين كانت ترقد تلك الفكرة قبل أن تداهمها الآن.

- حارفض المنحة الدراسية ..هأجل الماجيستير ، ممكن أحضر بعد سنتين ثلاثة ما مشكلة على حسابي الخاص . في الفتره دى انت تكون عملت تصعيد و خلصت البكالريوس و تسجل ماجستر على طول كدا نكون قلبنا الايه ... انت متصور كلها ثلاث سنوات انت تكون معاك ماجستير و انا يا دوب بكالريوس ..

أرعبها قرارها ولم تستطع النوم ... تخيلت سنوات دراستها تحترق، كل كراساتها المنسقة تتحول لرماد وأن أسامة يبعثرها بمرح من شباك سيارة صديقه. لماذا كانت تجمع المحاضرات بين طلبة الدبلوم وطلبة البكالوريوس، ولما درس معها، لما أحبته؟؟ وجد أن كلامها يُـحله من كل الركض المستمر الذى يقوم به من ذلك اليوم الذى جلس معها فى مدرجات الجامعة. ستقف هى وسيتمكن من الوصول لحيث تقف بل أنها تعطيه فرصة نادرة أن يسبقها. حقا إنها ثلاثة أعوام وينتهى كل شىء.

بمجرد رفضها للمنحة انهالت عليها الاعتراضات، أغلقت هاتفها المحمول، فجأة أصبح اسامة شخص يمقته كل من يهمه أمرها، وضحت بأكثر من طريقة أنها لا تريد أى حديث فى هذا الأمر فسكتوا جميعا إلا سوسن:

- سوز أنت جادة هتوقفى حياتك علشانه؟
- ما تحاولى تقنعينى إن حركة إنك توقفى وهو يصعد دى صدفة.
- أصلا حب الجامعة ده مرحلة كلنا بـنعدى بيها وخلاص خلصت.
- أنت ما شايفة إنه أنانى كونه رضى إنك ترفضى المنحة؟؟

كانت كوابيس الفشل تطاردها فى الليل، لكنها تستيقظ صباحا على رسالة منه يرسلها دوما دون تغيير "صباح الورد يا ست الكل ... يا أحلى الناس" لتؤكد لها أن هذا الحب يستحق ذلك. مر العام الأول بسلام، نجح أسامة وأصبح يحمل درجة البكالوريوس. وجدت هى وظيفة ثابتة بمرتب مجزى فى منظمة عالمية، فكرت أنه يمكنهما أن يدرسا الماجيستير سويا.

حضرت نفسها لتقول له أنه توجد فرصة منح دراسية هذا العام وأنه عليهما أن يتقدما لها معا، كان ذلك قبل أن تجد أسامة منغمسا فى مخططها القديم.

- الشركة اللى بـاشتغل فيها ما هيفرغونى للماجيستير لكن لقيت ماجيستير by research.
- أنت تستمر فى شغلك وأنا بـخلص ماجيستيرى بسرعة وبعد ذلك يكون الوضع ممتاز ... صح؟

احترقت أوراق المنحة مرة أخرى وبدت تتصور أن مواصلة التعليم ستكون مستحيلة بعد ثلاثة أعوام من الانقطاع عن الدراسة. حزنت وهى تجاهد ألا تحصل على ترقية قبل أسامة ... وهى تمتنع عن نصف السفريات التى يتطلبها عملها، دوما تفكر أن قدرها أن تسبقه بأمر ما ... ها هو رصيدها فى البنك يتجاوز ما يمكن لأسامة أن يجمعه فى أربعة أعوام من عمله المتواضع، وها هى تحضر له هدايا بربع إماكنياتها من رحلات أوروبا وشرق آسيا لن يقوم بها هو فى أى وقت قريب.

تمكن أسامة أخيرا من تجميع مبلغ مناسب للخطبة، حفل الخطبة كان مناسبة ليعلن الجميع عن دهشته من أن العلاقة التى لا تحمل المنطق ما زالت مستمرة وها هى تمضى نحو الزواج. بمزيج من الزهو والفرح كان أسامة يخبرهم أنه يحضر الماجيستير مستمتعا باتساع حدقاتهم للحظة حسد خاطفة وملامح عدم التصديق.

طوال الوقت كانت تمسك بيده وهى تقول إنها المرأة وراء الرجل العظيم، دون أن تخبرهم أنها مساعد المدير الإقليمى لمنظمة عالمية وإن راتبها يكاد يكون الأعلى بين جميع أقرانها. خطتها تنجح تماما كما رسمتها فى لحظة حب متهورة، لما لا تشعر بالسعادة والرضى، قالت لها سوسن ... "يا سوز ممكن أسألك سؤال؟ أنت أسامة هيعرسك كيف وكل قروشه ماشية قصاد الماجيسيتر؟" سوسن تعلم جيدا معنى أن تعشق رجلا أقل طموحا، عانت هى نفسها ذلك خلال حبها الصامت لعمار الذى توقف عن الدراسة بعد الثانوية مكتفيا بإدارة أعمال أبيه. لذلك لم تكن تقسو على سوزى بل كانت تحيى شجاعتها بينها وبين نفسها.

شجاعة سوزى دفعتها للبحث عن شىء آخر تمنحه لأسامة، فلا تظن أنها قادرة على حبه فى شقة صغيرة خانقة فى حى شعبى وفى حفل زفاف يقل عن حفلات الشاى التى تقيمها على نفقتها الخاصة.

فى مكتب عبد المجيد جلست وهى تحاول أن تتذكر كيف كان شكله، لقد مرت سنوات طويلة على آخر مرة رأته. عبد المجيد أحد خريجى كليتها؛ شاب طموح كانت كراسته هو فى ذلك الوقت هى الكراسة المنسقة القابلة للتصوير ... تعرفت عليه كمعيد درس لها فى العام الأول.

- أنت عارفة إن أسامة أكتر ولد محظوظ فى البلد دى!
- يعنى أنت جادة إنك بـ تدورى له على وظايف؟
- بـ تحسنى له دخله؟؟
- معليش يا سوزى أنا عارف إنه خطيبك وفاهم ومقدر إنه ما بيخصنى الموضوع ... لكن اللى ما قادر أفهمه إنه على إيه ده كله!!

كم كان من المريح لو كانت أحبت عبد المجيد كما أحبها، لكن الحب لا يأتى مع الراحة فى كفة واحدة.

فكرت أن أسامة فى الوظيفة التى سيوفرها عبد المجيد سيجد فرصة ليتطور مهنيا فى وقت وجيز. إنها شركة كبرى ولها فروع فى عدة بلدان. من يعلم ربما جو التنافس يحمس أسامة أخيرا ولا يعود

تحفيزه واجبها اليومى، قبل كل امتحان وبعد كل تسلم فى نهاية الشهر وبداية العام فى كل لحظة إحباط، جمود أو ملل.

فعلا تم تعيين أسامة فى الوظيفة، ومرت زوبعة جعلته يغار من عبد المجيد بسلام، تجاهلت كل حديثه الذى يقوله ساعات الغضب، اتهمها أنها تخونه مع عبد المجيد، قوله أنها دوما ترى أن هناك شباب أفضل منه وأنها لا تقنع به وحده، لابد أن تحيط نفسها بكل من قال لها يوما أحبك، ندمت على صراحتها معه، كان من الذكاء أن لا تخبره سابقا عن أى شخص يكن لها مشاعر وأن لا تخبره اليوم أنها دبرت أمر لقاءه مع مدير الموارد البشرية ومعيدها السابق.

عاودها كابوس حرقة أوراقها مرة أخرى، هذه المرة أحترقت شهادة ميلادها ... استيقظت مرعوبة وهى تفكر احترق عمرى!

مر عام آخر ومن حفل زفاف لآخر لاحظت سوزى أنها تودع زميلاتها وهن يغادرن العزوبية وتجد أنهن بدأن يواسينها ... لا تكاد تصدق أن الفتاة التى كانت تعد أكثر المرشحات للزواج بعد التخرج مباشرة ظلت لآخر القائمة، لا تكاد تصدق أن حياتها أصبحت هزلية لهذا الحد، لا زواج ولا دراسات عليا ... لكنها تملك الحب.

تجد المواساة حين تلتقى بمن يسألها عن حياتها العاطفية وتذكر أسامة فيقولون بدهشة: "لسه مع بعض ... ما شاء الله عليكم ... الله يتم لكم على خير"، هل حقا سيكون التمام خيرا.

فى عيد الحب العاشر أحضر لها بورتريه لهما معا، كانت هى فى مركز التركيز كانت ملامحها رمادية، كان فى الخلفية، لم تحمل الأمر أكبر من حجمه، لم تحاول تفسيرها سوى لفتة لطيفة لمركزيتها فى حياته، فكرت فى الوقت الذى أمضاه فى رسمها

- فنااااان ... u are great
- لازم نعمل ليك معرض يوم.
- لا أنا جادة والله ... ما صح موهبتك دى تكون حصرية لى أنا بس.
- لا طبعا يا بايخ ..ده ما شرط جديد لزواجنا ... غلطانة أنا اللى بشجعك؟! حمار !

أحيانا حتى وإن كان الأمر مزاحا تشعر أنه يظن أنها تجعل مهمة الزواج بها مقيدة بشروط مستحيلة بالنسبة لها وإن كان تمكن فعلا من معرفتها لا يهمها أى شيء من الأمور التى وقفت فى طريقهما. كان يمكنها أن تتزوجه بالدبلوم الذى يحمله وتعمل لتعينه فى الأنفاق على معيشة كريمة، لكنه من سيشعر بالفروق وهو من ستجرحه تعليقات الأهل والأصدقاء، كما أن أبناءهما سيرتبكون من وضع الأب والأم المخالف للمعتاد فى مجتمع شرقى تقليدى.

علقت اللوحة فى غرفتها وقررت أن تستخير اليوم مهما حدث، صلت ركعتى الاستخارة وبكلمات مرتبكة تلت دعاء الاستخارة وتلته بدعاء طويل أن تكون نتيجة الاستخارة عاجلة، فجأة أصبح الأمر يزعجها وتريد أن تتخلص من هذا الهاجس الجديد. بعد يومين بدأت مكالمات أسامة تقل، إنه يخفى شيئا ما تكاد تقسم على ذلك، تعرف مراوغته إن أراد أن يقوم بأمر ما بالخفاء ... علمت من أحد

معارفها مصادفة أنه جمد الماجيستير ... سؤال برىء جعلها فى موقف حرج جعلت تبرر ... إنه أجله لأنه انشغل بالعمل. طلبت أن تقابله ... لن يتمكن من الكذب وهى تنظر له مباشرة:

- أنا تعبت منك ... كل حاجة على كيفك.
- ما ممكن مقضى حياتى علشان أبقى على مقاسك.
- وعمرك ما هترضى او تقتنعى.
- عمرك ما هتحسى إن أنا كفاية.
- أنا غلطان أصلا اللى سمحت لك تتحكمى فى مستقبلى.
- وضحيت واتنازلت كتير ...

كلماته تلك من وراء سحابة دخان سيجارته التى قرر اليوم أن يدخنها متغاضيا عن خطورة ذلك على خطيبته التى تعانى من الربو بدت تماما كرماد الأوراق التى كان يحرقها فى أحلامها عاما تلو عام، لأول مرة تدرك أن حلمها المكرر كان يحذرها من هذه اللحظة ولكنها تجاهلته ... مسرفة فى تعاطى الحب.

لم تتغير

بالنسبة لعمار الحياة كانت إما "تمام" أو "مكسب" مبتسم هو ويشع سعادة. حين تراه تدرك فورا أنه من ذوى الدخل العالى. سيارته تتبدل سنويا ويتخايل كعارض أزياء محترف بملابسه المنسقة بالعناية وشعره المصفف، يهتم حتى بالاكسسوارات الرجالية، ساعة سويسرية كلاسيسية للمساء وساعة "سبور" للعمل.

يدير سلسلة محال تجارية (سوبر ماركت) يملكها الحاج حسن والده، توقف عن التعليم فى الثانوية مسجلا بذلك سابقة فى نطاق عائلته المليئة بحملة الماجيستير والدكتوراه، الحاج حسين نفسه خريج آداب لغة إنجليزية وأمه معلمة فى مرحلة الأساس و لكف عين الحساد كان عمار الشخصية الوحيدة التى لا تقرأ غير جريدة "قوون" الرياضية ولا تسعى لتطوير ذاتها.

يقول إنه حكيم ويقنعك بذلك حين يشرح لك الحالة الاجتماعية والاقتصادية من مبيعات السوبر ماركت.
- شوف اسى حاجة نفيسة دى مثلا ما شاء الله ما بـفرق معها السعر بـتشيل بـتحاسب و ما بـتقول ولا كلمة.
- جارتها مع العلم إن بيتها ثلاثة طوابق هاجت وجاطت يومتا كيف سعر لبن البدرة يتضاعف؟ زول من برا بـقول لك بخيلة، لكن أنا عارفه كويس ... المرة مسكينة وضعهم ما رهيب كده بيتهم ختو فيه تحويشة العمر كله.
- أستاذ الفاتح بـيحب يشتري بالدين مهما شال لو عايز لبانة بـقول لك سجل فى الحساب عندك – أظن بـتريحه حركة الدفع مرة واحدة دى ويشيل ويشكر فى حكاية الجمرة الخبيثة مع إن الناس متضايقين منها.

- بت موالنا (شيخنا) الصغيرة ما عارف اسمها شنو دى همها الأكبر الكريمات كل أول شهر تيجى تشيل حاجات بمرتبها كله تقريبا.

يمضى يوم فى السوبر ماركت القريب من بيتهم فى الرياض والآخر فى الثانى فى شارع الستين "لازم الشغلاين يعرفوا إنه أصحاب المحل مفتحين ليهم هم أولاد ناس لكن برضه الزمن ده بقى غريب". الفرع الثالث يعهد به لأخوه الأصغر الساكن فى شقة فى نفس العمارة مع زوجته. عمار لم يتزوج بعد مع أنه فى الثلاثين ولا يعيقه المال ولا يشغله العلم.

لديه أصدقاء فى كل مكان، يجد نفسه فى كل مجموعة فهو صاحب الدم الخفيف، الراقى، المنسق للبرامج، يعرف أغلب أصحاب المقاهى والمطاعم الكبرى فى الخرطوم لذلك فهو زبون مميز. يحكى لك عن تطور الأماكن بخبرة ويعطيك قائمة بما يجب عليك أكله فى عاصمة الأكل فيها هو الترفيه الأكبر.

شارك فى نادى الزوارق وانسحب وكذلك فعل فى التنس، وأخيرا استقر كما يقول على "الألمانى أحسن حاجة"، لا يمنعه ذلك طبعا من مواصلة علاقاته الممتدة. تكونت لديه مع الأيام ثقة هائلة بالنفس

خاصة فيما يتعلق بالفتيات. معه حق بعضهن وصلت بهن الجرأة للمبادرة كما أنه لا يتعرض للرفض؛ لكن وحدها سوسن الجديرة بالاهتمام.

مكان وحيد كان يرهبه، جامعة الخرطوم، بقية الجامعات كان يصول فيها ويجول دون تفكير، وما دمنا سنتحدث في السياسية أو الكرة فإنه لا بأس عليه و هو طبعا الحكيم في اي مجال حياتي عام جامعة الخرطوم هو المكان الذي تدرس فيه سوسن.

لديه صديقان هما الأقرب إلى قلبه؛ حسام وعبدو (عبد الرحيم)، كانوا معا في كل شيء، جيران وزملاء دراسة، وتجمعه مع حسام قرابة من الدرجة السبعين يتمسك بها الجيران بفرح كأنها نسب و قرابه من الدرجة الاولي كعادة السودانيه تعبيرا عن المحبة. حاولا معه كما فعل أهله ليتابع دراسته؛ حسام خاصمه للضغط وعبدو قام بحملة كبيرة بين الأصدقاء وكل من يعرفهم.

تخرج الجميع من الجامعة وبقي هو وكانت هذه نقطة ضعفه التي يحاول الجميع أن يتعامل معها كل بطريقته، حسام الساخر مثلا يردد له دوما "يا مان أنت إيش فهمك ... انت اسمك ما بـ تعرفـ تكتبه" ... كثيرون تجنبوا أي حوار يقترب من هذه المنطقة الحساسة.

في آخر ساعات الليل بعد أن تخف حركة الزبائن يرفع عمار صوت التلفاز ويطالع مباريات في الشو تايم أو أي فيلم عربي قديم إذا لم يكن لديه خطط مسبقة مع إحدى شلله. ما يسعده حقا جلسة صفا مع عبدو وحسام.

- أنا هكلم سوسن.

- جد ... (قالها عبدو بنبرة جزع أكثر من كونها دهشة).

- بس ما عارف.

- يا مان ما كان من زمااان ... (حسام).

- ما كانت بـ تقرا ودخلت لها برنامج MBA.

- طيب يا عمار ياخ البت دي مفلسفة بـ تتعبك ساي ... (عبدو بحنانه المعتاد).

- اسمعني ... you got to be serious ما بينفع الكلام ده وأنت ما تخليك صريح البت ما مفلسفة؛ البت طموحة وأنت عندك نظام معين ماشي بيه (حسام).

- عاين احنا جيران وأهل وما حصل حسيت إنه عندها رأي فيني، بالعكس ظريفة معاي شديد.

- أنا عندي ليك حل (حسام).

- اتحفنا.

- عرس واحدة تانية.

- يا سلام (عبدو).

- كده هتكون راجل مـَرَة، ثم مضى راقصا وهو يدندن ... "راجل المـَرَة حلو حلاوة ... راجل المـَرَة حلو حلاوة"

- هههههههههه معليش يا عمار لكن فكرة ... فعلا راجل المـَرَة حلو حلاوة (عبدو).

حاول جاهدا أن يعرف السبب الذى دفعه لترك التعليم، لكنه لا يعلم، فكرة طائشة تحولت مع الأيام لنقطة فاصلة فى حياته لا يمكنه أن يعود ليمحيها ولا يمكنه أن يتخطاها. كل عام كان عماد "أخوه الأكبر" ينصحه أن يبدأ الآن ما زال صغيرا، لكنه يستصعب الأمر، كيف يتعلم مع الشفع (الأطفال) كلهم شفع ... ثم ما أهمية التعليم لديه المال والوضع الاجتماعى ... أمه بعد أن حاربت كسله لسنوات استسلمت أخيرا للوضع وأصبحت من أكبر حلفائه "يا ولد بس عرس فرحني".

لماذا أحب سوسن؟ أو فلنقل لماذا تقوم سوسن بكل هذه الأمور، ما الداعى لأن تدرس فى أفضل جامعة فى البلاد وتحضر الماجيستير؟ لماذا تصر أن تصبح المستحيل وتزيد من تعلقه بها، هو بطبعه التنافسى. استرجع كل علاقاته السابقة تلك التى كان يمضى بها الوقت فى انتظار انتهاء ست الحسن من مشوار التعليم الطويل. لا بأس عليه كل الأمور ستكون "تمام". ستأتى حتما فى الأسبوع القادم لتشترى شيئا ما وسيسألها. لا داعى للقلق إنه عمار حسين، المحسى : *محسي اي ينتمي لقبيلة المحس المشهورين ببشرة سمراء ناعمة و شعر ناعم شديد السواد و ملامح جميلة الموضوع نسبي على اي حال هنالك من يري سكان حلفا (الحلفاويين) بلونهم الفاتح احسل* شديد الوسامة بشعره اللسبسيبى (الأملس) وعينيه العسليتين. إنه نفس الشخص الذى تقول له سوسن "أنت يوم هتقتلنى بالضحك .. أصلا ما بتعرف تكون جادي *(من جدية)*. إنه الشهم الذى يوصلها لمنزل ذويها إذا تأخر الوقت وهو الذى يأتى بنفسه لوالدتها إذا اتصلت وطلبت شيئا من السوبر ماركت .. كريم ولا يمكن أن تحاسب وهو موجود بالمحل إذا كانت الأغراض لها "امشى يا بت أنا ما بشيل قروش من البنات" "شغال كيف سيادتك زبائنك كلهم رجال" "أنت فاكرة كل البنات بنات" ... كلمة حلوة هنا غزل بسيط فى الكاشير لم تكن تجزره ولم يتجاوز حدود الأدب.

أتى اليوم المنتظر، اجتهد فى مظهره هذا الأسبوع أكثر، لم يخطر له أن يسأل أخته - صديقتها - عن رأيها، ليس هو من يفعل ذلك. آخ لو كان يستطيع استعارة شخصية عماد أخيه اليوم فقط ليبهرها ليس فقط بكريزمته بل بثقافته الواسعة وبرزانة وعقل راجح، لكنه هنا معلق بهذا الجاهل، لأول مرة يشعر بضعف كهذا، مضت دقائق تجولها فى المحل متلفة للأعصاب ... "لازم تتردد كدا هو درس كيمياء ما تشيل أى حاجة وخلاص".

- سوسن عايزك فى موضوع . . مستعجلة؟

- والله ماشية للصيدلية اللى فى الشارع الثانى والمكتبة ... أنت عارف كل يوم بـارجع مهدودة من بـالقى زمن.

- اكتبى لى حاجاتك وتانى أنا بـجيبهم لك.

- لا يا سيدى أنا بقيت سايقة ما زى زمان ما فى داعى أتعبك معاى.

- عيب يا سوسن ..كيف يعنى الكلام دا ..انتى تعبك راحه ..

- أها عايز شنو خلصنا.

- خلصنا!! ... أنت لاقيانى وين؟ ... عاينى أنا بـاركب معاك بـاتكلم فى السكة وأنت راجعة نزلينى.

- اتفقنا.

لم يعجبه طبعا أن تقود هـى السيارة، بدا الوضع مقلوبا لكنه مضطر.

- التفتت إليه مندهشه بعد أن توقفت أمام الصيدلية "بالغت لكن"

- ليه فيه حاجة غلط فى الل قلته.
- أيوا يا أستاذ التوقيت.
- ما فاهم.
- يعنى كان قبل خمس سنين كنت هطير من الفرح ... يعنى أنت يادوب اكتشفتنى؟
- لأ الكلام ده قديم جدا بس قلت أديك فرصة.
- امممم ... جد بالغت، زمان كنت فى الدنيا ما شايفة غيرك ... فتى أحلامى زى ما بيقولوا .. هههههه ... اسى خلاص.
- هو شنو اللى خلاص ... أنا زى ما أنا ما اتغيرت.
- بالضبط .. دى المشكلة .. ما اتغيرت.

وقحة، جرئية، ولا تعى مصلحتها، هكذا صنفها عمار بعد حديث مطول حاول فيها أن يقنعها أنه قابل للتغير وأنه وفى خلال ثلاث سنين ممكن يتحصل على شهادة و"ينهى المشكلة دى". بالتأكيد لم تقتنع لأن الأمر بالنسبة لها ليس مجرد شهادة بل أمورا أخرى كثيرة، حاولت هى بدورها أن تقنعه أنه متعلق بفتاة غيرها وأن الزمن غيرها ... لم تترك له مخرجا إلا طبعا أن يتزوج ويصبح "راجل مَرَة حلو حلا" وهى "بايرة" عانس مضطرة للزواج به وهو احتمال مضحك تماما ككلمات الأغنية.

حبيب سمسم ... الخرافة

ماری طبيبة نفسية تخرجت الأولى فی صفها من جامعة من أعرق الجامعات البريطانية، حديثنا اليوم ليس إطلاقا عن قصة حياة ماری تحديدا بل عن رحلة ماری فی البحث عن سر "سمسم وحبيبها".

أخبرتنی ماری بالآتی ...

"كی أتمكن من الإقامة فی هذا البلد كان يجب علیَّ أن أفهم طباع أهله أولا ... لذلك لم أكتف بما أخبرنی به زوجی تومس موظف الأمم المتحدة، فهو معزول عن العامة ويعيش على هامش حياتهم، خاصة أنه يعمل عملا مكتبيا يخالط فيه مجموعة من موظفی الأمم المتحدة وأغلب الوقت يكون الحديث عن كيفية الحصول على نموذج حياة مشابه لحيواتهم السابقة فی بلادهم الأصلية".

"بعد شهر من الاختلاط بالجيران وتكوين بعض العلاقات، قررت أن أفتح عيادتی النفسية وأنشأت إشاعة حولی كخبيرة عاطفية، علمت أن عبارة مرض نفسی تعنی أن تكون مجنونا أو مسحورا وهو أمر يجب إخفاؤه، عيب وعار يكاد يكون بفداحة الإصابة بالإيدز ... الذی يشكل وصمة أبدية هنا".

"لم يكن المال يعنينی كما يعنی زوجی الذی أتی هنا ليكون ثروة ما بطريقة أو بأخری، كنت شغوفة بالبحث، لذلك استقبلت حالات من مختلف الطبقات، بعضهم يعطينی مالا كثيرا وأحيانا أتعامل مع الحالة مجانا، ولفتتنی قصة سمسم التی تكررت كثيرا على مسامعی".

- "عارفة يا دكتور ماری . . سمسم دی كانت مع خالتی فی المدرسة بتعرفها شخصيا ... وكان حبيبها جارها".
- "جار خالتك؟"
- "لا قصدی سمسم وحبيبها كانوا جيران" ...

- "يا ماری ... أنا متأكدة من الموضوع ده ... أوكی ... سمسم أصلا قروية ... عندی صاحبتی من نفس القرية".
- وكيف حبت؟ مش عندكم صعب الكلام ده فی المدن كيف القری؟
- ما دی حلاوة القصة ... ابن عمها كان عايزها وهی أصرت إنها تتزوج حبيبها ... كان يزرع سمسم وبدلعها سمسم.
- هههههههه شیء غريب هو السمسم حلو يعنی علشان يقول لها سمسم!

- يا دكتور سيبك من كلامهم ... سمسم فى الحقيقة درست فنون جميلة
- فنانة يعنى
- كان ممكن تكون أشهر فنانة تشكيلية عربية ... لوحاتها لسه فى الكلية ... أنا لما كنت طالبة شفت لوحاتها.
- طيب م]ن حبيبها؟
- أستاذها ... وهو السبب فى أنها تتخلى عن حلم العالمية ... صدقينى موهبتها استثنائية.

- يا مارى ... يا مارى ... خليك من كلامهم أنا لما قلت نفسى فى حب زى حب سمسم لأنى عارفة الحقيقة.
- وما هى الحقيقة؟
- زى كل قصة عظيمة، سمسم وحبيبها ما تزوجوا.
- أول مرة أسمع كده.

- تضحية سمسم مش إنها اتخلت عن دراستها أو مستقبلها أو عملها علشان حبيبها ... تضحيتها إنها بعد ما اتوفى قبل زواجهم رفضت تتزوج تانى وربت له ولده.

- ولدو؟

- أيوا كان عنده ولد من زوجته السابقة الله يرحمها.

"قصص كثيرة فى كل مرة توصف سمسم كبطلة وتغدق عليها صفات خارقة من وجه نظر الراوى ... المحب للعلم يجعل منها الأكثر أهلية بجائزة نوبل ... الفتيات الجميلات يقولن إنها أجمل فتاة فى البلاد وأن حبيبها غار عليها فمنعها من عالم الفن والاستعراض حيث تنتمى. البعض قال إنها كانت تجيد الطبخ ولديها اتيكيت فطرى، وآخرون أكدوا أنها خرقاء ولا تجيد شيئا لكنها ساحرة وتملك القلوب ولديها موهبة ما بشكل يكاد يكون خارقا.

المحير أن إحدى هؤلاء النسوة لم تتحدث عن مواصفات حبيب سمسم ... كان دائما الفارس الذى يغدق الحب ويأتى به من كل حدب وصوب مخصصا ومنتقيا لسمسم ... وُجد فى الأرض ليحبها كما يجب أن يحب الرجل المرأة.

- يا دكتور ... أنا لو حبيبى بيحبنى زى حكاية سمسم بضحى لو نص كده، بضحى باتنازل باعمل المستحيل.

"دائما كانت الحجة أن الحب الممنوح ليس كافيا وغير صادق ولا يدرك هؤلاء الرجال أهمية الكلام المعسول والأفعال الدالة على التفانى، يجيدون فقط أن يطالبوا بالتضحيات والتنازلات وأن نمنحهم حياتنا كلها".

بعد سنة قررت مارى أن تكتب كتابا عن كل القصص التى سمعتها عن سمسم وتتوجه بالختام القصة الحقيقية، وهنا بدأت رحلة البحث عن سمسم. عارض توماس الذى حذرها من مجتمع محافظ قد تتعرض فيه للمضايقات إذا ما أكثرت من الأسئلة، لكنه أدرك أن فتاته الباحثة هذه لن تتغير ولن تترك أمرا أثار فضولها.

جمعت مارى الخيوط من الأحداث المكررة، فى أغلب الأحيان كانت سمسم متعلمة وكانت أيضا ذكية ومتحدية وحبيبها كان قريب منها جدا جغرافيا وتجمعهما علاقة ما – هى السبب فى تعارفهما - غير علاقة الحب.

كلما بحثت أكثر انهالت عليها خرافات وأساطير أكثر، قررت أن تسمى كتابها الخرافة وتحلل فيه المشاكل العاطفية التى ننسجها لمجرد أننا نطمح فى شىء أفضل قد يكون فى الغالب غير موجود، وهو الشك الذى بدأ يتسرب لقلب مارى لعل سمسم لم توجد إلا ككذبة تناقلها الناس وصدقوها؟

الذى يزعج مارى أن القصة دائما تنتهى بأنهما يتزوجان – إلا فى النسخة التى يتوفى فيها حبيب سمسم – وبعد ذلك يعيشان فى سعادة أبديه كما عاشت سندريلا والجميلة النائمة فلا أحد يخبر الأطفال أنه بعد الزواج تبدأ حياة وأن هذه الحياة ليست سعادة مطلقة، ولا أحد يريد أن يعترف أن سمسم قد تكون انفصلت بعد زواجها أو أن حبيبها خدعها أو ألف احتمال آخر.

فى أحد الأيام وبعد أن توقفت عن البحث عن سمسم وقررت مارى أن نهاية كتابها ستكون مخصصة لاحتمالات الفشل وعن ضرورة التفكير المنطقى . . رن هاتف العيادة:

- عيادة مارى استشارية العلاقات الاجتماعية.
- ممكن أكلم دكتور مارى.
- أنا مارى.
- دكتورة أنت بطلت تدورى علىّ؟؟ أنا سمسم.
- ....
- أنا مستعدة أحكى لك كل شىء لكتابك بس بدون ذكر معلوماتى الشخصية.
- أنا آسفة لكن كيف أتأكد إنك سمسم فعلا؟

- صعب أثبت لك ... وأنا عارفة إن كل الناس بـ تقول إنهم يعرفونى شخصيا لكن اسمعينى واحكمى.
- طيب وحبيبك ممكن أقابله.
- حبيبى هو الآن زوجى العزيز اسمه حسين وأنا اسمى هند ... وولدنا اسمه غسان.
- ههههههه كنت بديت أنسى إنه ممكن يكون لكما أسماء ... أنا فى انتظاركم.

وداع سمسم

كان تواجدها معه يعني الارتياح، صديق تصاعد في حياتها حد الإخوة، كفل لهما الزمن والظروف سبل اللقاء وجعل من حياتهما شبكة يصعب فكها أو حتى محاول تحليلها، في كل حدث مفرح أو حزين كان لها رفيق، نسيانه يعني أن تفقد الذاكرة وتمحي شبابها والمراهقة.

كلمة سفر تخرج بسهولة وهي تحدثهم كلهم عن مخططها الجديد بعد أن حصلت على تأشيرة لأستراليا وبدأت بـ تحقيق حلمها في الهجرة. تجاوزت كل العقبات المعتادة وأدهشها حظها المبتسم على غير العادة، كأن البلاد تطردها ... غادري ... دربك أخضر.

تأتي على بالها ألف صورة من المشاهد اليومية التي تعلم أنها ستشتاقها حتما في البُعد. تكاد تدمع وهي تلاحظ أن حديثها اليوم مع صديقتها سيكون من آخر الأحاديث المباشرة التي تستطيع فيها أن ترى وجهها وتعابيره. رائحة الأماكن، دفء الأسرة، أمها وأخواتها الثلاث، مزاحهم المستمر، شجارهم، كل شيء صار يودعها بصمت، جنازة هادئة لحياة تقليدية تذمرت منها لسنوات. كل الأمور ميسرة حتى مشاعرها الغامرة مقدور عليها، إنه تردد بسيط وسيمضي بمجرد إقلاع الطائرة. وتنتابها نشوة السفر، الحلم والأفكار المستقبلية، فقط وجهه يستعصى أن يكون قابلا للوداع، لماذا الآن تفكر فيه تحديدا دون الجميع، لم تخبره، أخفت عنه كل شيء يخص السفر، وكان ينتابها شعور غريب بالخوف كلما حدثته، شعور مجرم هارب، كذبها عليه كان الأكثر وضوحا، وعليه كانت تتجنب أن تطيل الحديث وكان هو يراقبها وفي عينيه نظرة تعلمها جيدا ويهز رأسه قليلا وهو يردد ... "يا سمسم ... يا سمسم ... آآآخ منك أنت".

سمسم ..من سيناديها بسمسم واسمها هند غيره، من يستطيع أن يجعل كل المشاكل تافهة وسخيفة، من تستطيع أن تمنحه كل الحب فيقدره ويعزها دون أن تخاف أن يعتبره أمرا عاديا، مهما طال الزمن تعلم أنه دوما سندها الذي يظهر دونما حاجة للنداء، لسنوات طوال كانت له كل النساء وكان هو كل الرجال، علاقة رائعة رغم أنها لا تحمل كلمة عشق واحدة، من يحتاجها في وجود كل هذا التفاهم، من يحتاج جنون الوله واحتجاب المنطق، حتى حين تمت خطبتها كان هو الشخص الوحيد الذي يعلم تفاصيل علاقتها بخطيبها، تغضب إن أشار خطيبها إليه وتساءل عن معنى تواجده الغير مبرر في نظره، تخشى عليه من تهوره فقد كانت صمام الأمان الذي يدفعه ليعيد النظر ويتمهل، تخشى أيضا أن تفقد قدرتها على التفاؤل المكتسبة من احتكاكها به. أول مرة تدرك أنها وهو امتدادين لكيان واحد. ماذا تفعل بكل هذا التعلق؟ كيف تتركه وترحل؟ مضت الأيام وحقيبتها تكبر وخزانتها، بل كل غرفتها، بدت في التلاشي، قلبها ينقبض، تشعر بالغباء كيف لم تحسب لهذا الحدث، أما كان بإمكانه هو أن يتزوج وتمنعها معرفتها بطبائع الزوجات من رؤيته، أما كان بإمكان خطبتها أن تتطور لزواج وتصبح ملك

لرجل شرقى لا يفهم معنى الصداقة، هو أيضا يمكنه أن يسافر ويتركها، لولا أنه يحب هذه البلاد بشكل غريب، ألف احتمال للفراق، لم تعد نفسها أبدا لهم. تطور إحساسها وتفاقم حتى أصابها وهن ...

- سمسم
- أيوا
- أنت عيانة؟
- لا فترانة بس.
- اممم
- مالك؟
- عايز أعرف ناوية تكلمينى بس متين ..بعد ما تسفري؟
- أنت عارف؟
- أيوا عارف ..

كيف تمكنت ان تفكر للحظة انه بامكانها تركى، ما معنى هذا الغضب الذى يعترينى، تنتابنى رغبة عارمة فى ضربها، نعم ضربها، سمسم العزيزة التى لابد أن تُـدلل، لم يعد بإمكانى أن أتقبل جرمها، لابد أن أعاقبها على هذه الجريمة ... تتركنى !

لا يستطيع أن يفكر فى أمر سوى سفرها، تابع إجراءاتها مع أختها، وهو يظن أنها حتما ستغير رأيها، ستتراجع، ستدرك ما أدركه أخيرا أنهما امتدادان لكيان واحد، إنه حبيب سمسم، كما يتندر أصدقاؤه، وكما أنكر لسنوات طوال، إنه الرجل الذى يجب أن يكون محرم لها فى هذا السفر، إنه من يجب أن تستأذنه حتى قبل أن تخبر أمها، هكذا يجب أن تكون الأوضاع، لا يعنيه الآن أنه لا يحمل صفة تؤهله رسميا لذلك، لا يعنيه أنه لم يعرف من قبل أنه يهواها، وأنه لم يقدر أن يفكر فى الارتباط بها أو بسواها لأنها تملؤه، لا يهم إن كانت لا تعرف، وإن أمكنها أن تمنح أحدا غيره صفة خطيب، كل ما مضى أصبح حلما يريد تكراره للأبد، يريدها أن تكون معه للأبد، كيف لا تخبره؟! كيف تمكنت من التفكير مجرد التفكير بتركه؟! هل يحترق قلبها الآن أم أنه الوحيد الذى يشعر بالتعلق.

مضت الأيام وأعصابه تتلف، تحول غضبه لحزن، لم يعد يريد ضربها يريد فقط أن يبكيها مودعا، أن تسمح له ببكاء طويل وعويل يُـحفر فى ذاكرتها علها تشعر بحزنه وتحمله معها لتلك البلاد شديدة البُـعد.

تحول حزنه لشرود، ها هما الآن، القلق سيد الموقف، يتمنى أن يكون حبيب سمسم، ويدع كل الخوف الذى يعتريه من فكرة الارتباط وفقدان أجمل علاقة فى حياته، تتمنى أنه لم يعرف، أن لو أمكنها مواجهة غضبه وحزنه وشروده عن بُـعد، تتمنى أن تختبر مشاعرها فى البُـعد، هل تحبه؟ أم ما معنى كل هذا التعلق؟ ما معنى هذا التعلق؟ ظل السؤال يطاردهما.

بالنسبة لسمسم، قررت تجاهل معرفته بأمر سفرها وأكملت الإجراءات، كل يوم كان حسين (حبيب سمسم) يقول لنفسه، ستغير رأيها، لقد لمح التردد فى عينيها، هما اللتان يقرأ دون جهد.

تتوالى الأيام وهى لا تتراجع، أخبره صديق مقرب أنه يجب أن يخبرها فلن يخسر شيئا، صداقتهما تلك المقدسة ستعيقها المسافة على أى حال كما أنه إذا ما تزوج هو وهى فلن تبقى علاقتها كما هى، اقتنع بكلامه وامتلأ باللحظة الحاسمة، صاغ لها ألف سيناريو أين ومتى وماذا يقول؟ إنه موقف جديد عليه كليا فى المرة الوحيدة التى ظن فيها أنه يحب كانت سمسم هى المستشار العاطفى، يذكر كيف جلسا على سور المدرسة هى تفكر وهو يصدق على ما تقول. كان وقتها فى الثانية عشرة من عمره والفتاة المطلوبة هى الجارة الجديدة، لقنته سمسم كلام الرسالة حرفا تلو الآخر وتبرعت برسم القلبين المتصلين بسهم فى ذيل الصفحة.

خططت سمسم لوداعه هو خاصة دون الجميع، علمت أنهم يقيمون حفلا لوداعها لكنها ستدعى الدهشة لإسعادهم، أحضرت لكل منهم هدية صغيرة ليذكروها. الغربة بدت تتسلل لغرفتها التى تنقص منها أغراضها بين ما ذهب لمعارفها وبين ما حُـزم فى الحقائب. أرعبها أنها ستتلاشا من حياتهم، سينسونها ! لكنها سرعان ما أقنعت نفسها أن كل أجازة فرصة لنسج العلاقات مرة أخرى.

"حسين" تحديدا لا تحتمل فكرة أن تبهت صورتها لديه، أن تكون أحاديثهما بعد سفرها مملة، وتكون الصداقة مجرد واجب يؤدى، وعليه قررت أن ترشده يوم وداعها لسبل التواصل الحديثة التى يجهلها، لابد أن يعتاد التعامل مع الإنترنت الذى يكرهه، أحضرت له سماعات وكاميرا لجهازه webcamستعطيه درسا مختصرا وتنشئ له حسابا فى الـ facebook حتى إن كانت صديقته الوحيدة فيه، يجب أن يكون معها بكل شكل ممكن.

آخر شيء أحضرته له كان إطار صورة صغير ووضعت فيه صورتها، سألتها البائعة وهى تغلف كل تلك الأشياء "خطيبك مسافر؟"، لم تنفِ وظلت تردد مع نفسها "ده خطيبى ... حسين"، أصابتها نوبة ضحك، ثم شعرت بغصة، لكن سرعان ما واست نفسها بأنه سيبقى لها للأبد كيفما كان الوضع، صديقا خطيبا لا يهم.

فهكذا كانت هند (سمسم) دوما كائن منطقى وشخصية مرحة وتتقن الحياة كما تقول صديقاتها، تعرف كيف تسيطر على مشاعرها، المواقف، كيف ترضى الجميع، كيف تجعل الحياة حولها متناسقة ومنسابة بسلاسة، دون خلافات أو معوقات تُـذكر،

رغم أنهما درسا فى نفس المدارس الأجنبية المختلطة وتربيا تحت نفس الظروف الاجتماعية، كان هو حاد جدا الدنيا لديه لها لونان أبيض أو أسود لا يفهم النفاق الاجتماعي ولا ازدواجية المعايير، من المرعب أن يبقى الآن دون السكر (سمسم) الذى يُحلى له طعم العالم الظالم. وداع سمسم هو فرصتنا الوحيدة إذن.

هيأ نفسه لأسوأ الفروض، ستندهش وتشعر بالغرابة، حينها سيقوم بالانسحاب ويحاول أن يطمئنها أنه سيكون دوما صديقها ولن يتغير، ستصدقه ويمر الأمر، لن يخسر شيئا كما أخبره صديقه.

دون أن تشعر كانت دموعها تنساب وهى تقص عليه خططها هناك وتملكتها رعشة خفيفة حين قال وهو يفتح علب هداياها العديدة له:

- بتتكلمى زى كأنك حبيبتى.

ساد صمت للحظة ... لم يكن هذا أحد السناريوهات التى أعدها لكنه تعليق خرج منه دون مراجعة، لو لم تكن فى حالة حزن شديد لتمكنت هند من اختلاق ضحكة تزيل التوتر، لكنها لم تستطع وكانت تنتظر بقية الحديث.

أمسك بكوب القهوة المثلج، وأخذ رشفة سريعة كى يستجمع أفكاره:

- لا ما زى كأن ... أنت كده فعلا.

استمرت فى صمتها، هذه المرة بدا لها الأمر منطقيا وغير مرعب إطلاقا، وكونها تعرفه أدركت أن أى مقاطعة ستثنى عزمه. شيئا فشيئا اطمئن هو أيضا، بعد ذلك استمر هو فى الحديث ببساطة ودفء كما اعتاد. دموعها مستمرة بهدوء لكنها تخرج من قلب آخر غير الذى جلس ليودعه، قلب ملىء بالحلم والسعادة.

- طيب ممكن ما تبكى ... when did u learn to cry girl?

ابتسمت ومسحت دموعها، رأته من زاوية أخرى، كانت ترعاه، اليوم هو من يرعها، امتلأت بحب خالص تماما من الشك وتضاءل فى نظرها شعور الصداقة.

- أها رأيك شنو.

كان سؤاله كى يدفعها للحديث، فقد أضاء وجهها بشكل جعله يكاد يجزم بموافقتها، لكن يجب أن يسمع كلامها.

- اممم ... يعنى ما أسافر؟

- ما عارف ... أنت حرة.

- والله يا حسين بيجى منك.

- قلتي كده ...

الأيام التالية كانت غريبة وسعيدة ... أعلنا خطبتهما وأجلت سمسم مشروع السفر ... ما زال حسين مضطر للبقاء هنا، كما أن سعادتهما وحبه للبلاد قد تـُزيل فكرة السفر تماما، كان الزواج بسيط ككل شيء يخصهما.